المعارف العلمية في الفلسفة العربية الإسلامية

الدكتور زهير الخويلدي

تونس 2020

المعارف العلمية في الفلسفة العربية الإسلامية
د.زهير الخويلدي

تمتاز الحكمة المشرقية بإلمام واسع بأهم الآثار العلمية والعبارات البليغة والنظريات العجيبة التي أبدعتها البشرية وتتفرد بالدراسة المفصلة للأنساق المجردة والأبنية المعرفية المحكمة والمذاهب الفكرية العقدية ولهذا جعلها المتابعون الأعاجم مثالا للاحتذاء ومنارة للاهتداء ومصعدا للارتقاء في سبيل للتقدم والتمدن

راهنية الحكمة المشرقية تتحقق ليس من خلال إعادة قراءة النصوص التي تركها فلاسفة الملة الإسلامية مطمورة دون شرح مستفيض وبلا تفسير معمق بالعمل على إدراجها في التراث الإنساني والعقل الكوني بل بالتركيز على البعد الإنساني والقيم المدنية والحركات الفكرية التي وضعت الحقيقة إلى جانب العدالة ودعت البشرية باكرا إلى التخلص من الجهل من أجل التحرر من الخوف واعتمدت الشك طريقا لليقين

الدكتور زهير الخويلدي

أستاذ جامعي بكلية الآداب والعلوم الإنسانية ، رقّادة ، القيروان، الجمهورية التونسية. أستاذ مبرز ودكتور وكاتب فلسفي وباحث أكاديمي. ينشط في العديد من المؤسسات التابعة للمجتمع المدني ويؤثث دوريا عدة منتديات ثقافية وملتقيات فكرية في عدة جمعيات. يكتب بشكل مستمر في العديد من الصحف والجرائد والمواقع الإخبارية والثقافية والمجلات الفكرية العربية وشارك في العديد من الكتب الفلسفية الجماعية مع أكاديميين عرب ضمن أعمال تأليفية مشتركة. أصدر جملة من المؤلفات والكتب والدراسات والترجمات والمجلات

دار نشر رقمنة الكتاب العربي-ستوكهولم

كتاب المعارف العلمية في الفلسفة العربية والإسلامية

د زهير الخويلدي

جامعة القيروان، الجمهورية التونسية 2020

الكتاب: المعارف العلمية في الفلسفة العربية والإسلامية

المؤلف: دكتور زهير الخويلدي

الطبعة الأولى 2020

ISBN: 978-91-89273-17-7

الإيداع القانوني لدى المكتبة الملكية السويدية:2020-09-26-17-29

الناشر: رقمنة الكتاب العربي- ستوكهولم

السويد، ڤاسترا جوتالند

هاتف: 0046790185518

البريد الإلكتروني: digitizethearabicbook@hotmail.com

جميع الحقوق محفوظة لدى دار رقمنة الكتاب العربي-ستوكهولم، لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه، أو تقليده، أو تخزينه في نطاق إستعادة المعلومات، أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن مسبق من الناشر.

إن جميع الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبر عن رأي الكاتب ولا تعبر بالضرورة عن رأي الناشر.
والمؤلف هو المسؤول عن المحتوى.

الاهداء:

الى علماء الحاضرة التونسية الأجلاء الذين رفعوا لواء العلم والمعرفة وجعلوا من هذا البلد عنوان التميز والثقافة ومنحوها درجة الاستثناء في مجالات الاجتهاد والتنوير والقيم المدنية.

استهلال:

" ليس في الصنائع العلمية فقط بل وفي العملية. فإنه ليس منها صناعة يقدر أن ينشئها واحد بعينه، فكيف بصناعة الصنائع وهي الحكمة؟"[1]

لا فرق عند الكاتب الحاذق بين القول بالحكمة العربية بالانطلاق من تجربة لغة الضاد في التكلم برهانيا والتنصيص على الطابع الإسلامي للفلسفة المذكورة بالنظر إلى أن غالبية الفلاسفة كانوا من الملل الوافدة.

غير أن التفريق بين حكمة المشرقيين وفلسفة الغربيين صار أمرا إجرائيا ومطلبا منهجيا لمحاولة تحرير الفكر التابع من هيمنة النموذج المتبوع وتصفية الحساب بالمعنى الرمزي مع مركزية لوغوسية استحوذت على الفضاء الافتراضي للتحضر الإنسي في نمط واحدي ينفي كل تعدد معقولي يتفق مع الكثرة البشرية.

الغرض ليس بناء حكم موضوعي تجاه الفلسفة الغربية التي يتقاسمها الكل بشكل معولم ولا نية إنصاف الحكمة المشرقية بعد طول جحود وازدراء متزايد وضيم متعاظم، فهذا مقصد يتطلب الحياد والتجرد، بل معاودة البدء من جهة مغايرة عن الحقبة الوسيطة التي ينتمي إليها الفكر الفلسفي في حضارة إقرأ ومن منظور يحتسب بدقة وعناية تحولات الفن والأدب والإنسانيات والعلوم والفلسفة في الأزمنة مابعد الحديثة.

ليس المطلوب هو البرهنة عل الدور الكبير الذي اضطلعت به الحكمة المشرقية في قيام الحداثة الفلسفية الغربية سواء عن طريق الترجمة الوفية والتعريب الذكي والنقل الأمين للحكمة اليونانية والعلوم القديمة، ولا التذكير بالرّيادة التي أنجزها علماء الشرق في مجالات الطب والتاريخ والمنطق والرياضيات والفلك والجغرافيا واللغة والاقتصاد والمجتمع والسياسة والآداب والفنون والمعمار والبصريات والقانون، بل القيام بإطلالة على بعض المفاهيم الواردة في التراث المادي الذي ظل حاضرا بالنسبة إلى التجربة النقدية وبقي محفوظا في المكاتب والمتاحف والأرشيف بالرغم من أشكال الإهمال التي تعرض لها أو حملات التوظيف والتلاعب السياسي التي تعمد تجفيف المخزون الروحي الذي ما يزال حيا في الشعور الجمعي.

تمتاز الحكمة المشرقية بإلمام واسع بأهم الآثار العلمية والعبارات البليغة والنظريات العجيبة التي أبدعتها البشرية وتتفرد بالدراسة المفصلة للأنساق المجردة والأبنية المعرفية المحكمة والمذاهب الفكرية العقدية ولهذا جعلها المتابعون الأعاجم مثالا للاحتذاء ومنارة للاهتداء ومصعدا للارتقاء في سبيل للتقدم والتمدن.

[1] أبو الوليد ابن رشد ، **تهافت التهافت**، تحقيق سليمان دنيا، دار المعارف، القاهرة، مصر، طبعة 1964.

راهنية الحكمة المشرقية تتحقق ليس من خلال إعادة قراءة النصوص التي تركها فلاسفة الملة الإسلامية مطمورة دون شرح مستفيض وبلا تفسير معمق بالعمل على إدراجها في التراث الإنساني والعقل الكوني بل بالتركيز على البعد الإنساني والقيم المدنية والحركات الفكرية التي وضعت الحقيقة إلى جانب العدالة ودعت البشرية باكرا إلى التخلص من الجهل من أجل التحرر من الخوف واعتمدت الشك طريقا لليقين.

إن مقومات الفكر العلمي في مشارق الأرض من جهة جغرافية العقل البشري وليس من جهة تاريخية التراث الديني هي كافية لظهور قضاة وأدباء وشعراء وعلماء ومؤرخين ومهندسين وفنانين وأطباء أكفاء ولكنها تؤتي أعظم أكلها إذا ما ساعدت على ميلاد مثقفين عضويين وفلاسفة أحرار بدل الوعاظ والدعاة.

الذهاب إلى ماوراء التجربة المخادعة التي أجرتها إيديولوجيا الإستشراق يقتضي المضي قدما في تجربة تحرر مضادة ترتكز على إيتيقا الاستغراب دون الوقوع الحضاري في التمركز اللغوي والإثني والفكري.

كما أن تحويل الحكمة المشرقية إلى فلسفة مقاومة تتلازم فيها ثوابت الثورة الديمقراطية في تلازم الحرية والعدالة وتعاضد السيادة والمواطنة يتطلب تبئيرها في الفكر الجذري الذي تشتغل عليه مابعد الكولونيالية.

لكن كيف تضع حكمة المشرقيين حدا لتفوق الفلسفة الغربية؟ والى أي مدى تكون قادرة على ذلك وهي لم تعلن أفولها واستيفاء أغراضها ولم تبدأ هي عينها من جديد ولم ترنو ولو مرة واحدة إلى الانتصار عليها؟

يرى أبو نصر الفارابي أن " المقصود الإنساني ثلاثة: اللذيذ والنافع والجميل، والنافع إما نافع في اللذة وإما نافع في الجميل. والصناعات التي يتصرف بها في المدن مقصودها النافع والذي يميز السير وبها يستفاد القوة على فعل ما يتخير فإن مقصودها أيضا من الجميل، من قبل أن تحصيلها العلم واليقين بالحق، ومعرفة الحق واليقين هي لامحالة جميلة، فقد حصل أن مقصود الصنائع كلها إما جميل وإما نافع. فإذن الصنائع صنفان: صنف مقصوده تحصيل الجميل وصنف مقصوده تحصيل النافع. والصناعة التي مقصودها تحصيل الجميل فقط هي التي تسمى فلسفة وتسمى الحكمة على الإطلاق. والصناعات التي يقصد بها النافع فليس منها شيء يسمى الحكمة على الإطلاق. ولكن ربما يسمى بعضها بهذا الاسم على طريق التشبه بالفلسفة. ولما كان الجميل صنفين: صنف هو علم فقط وصنف هو علم وعمل، صارت صناعة الفلسفة صنفين: صنف به تحصيل معرفة الموجودات التي ليس للإنسان فعلها وهذه تسمى النظرية، والثاني به تحصل معرفة الأشياء التي شأنها أن تفعل والقوة على فعل الجميل منها وهذه تسمى الفلسفة العملية... والفلسفة المدنية صنفان: أحدهما يحصل به علم الأفعال الجميلة والأخلاق التي تصدر عنها الأفعال الجميلة والقدرة على أسبابها وبه تصير الأشياء الجميلة قنية لنا، وهذه تسمى الصناعة الخلقية والثاني يشتمل على معرفة الأمور التي بها تحصل الأشياء الجميلة لأهل المدن، والقدرة على تحصيلها لهم

وحفظها عليهم، وهذه تسمى الفلسفة السياسية، فهذه جمل أجزاء صناعة الفلسفة"[1]. ما مقصود الصنائع الإنسانية كلها؟ وما قيمة الصنائع التي مقصودها تحصيل النافع؟ وماهو تعريف الصناعة الجميلة؟ وهل الأخلاق والسياسة هي دائما مصدر الأفعال الجميلة؟ وكيف يرتبط العمل المعرفي بالحكمة العلمية؟

والحق أن هذا الكتاب يراهن على استئناف البحث العلمي في حضارة اقرأ بلغة الضاد ضمن دائرة العلوم الطبيعية والدقيقة وبالتفاعل مع فن الترجمة ونقل الاكتشافات الجديدة والنهل من المعارف العلمية الكونية.

لقد أردنا بالعودة الى التراث العلمي الذي يعج بالكنوز المعرفية والدرر العلمية الاستئناس بالمنطق البحثي الذي حرك التجارب الميدانية في مجال الرياضيات والفيزياء وعلم الكيمياء والطب وعلم الفلك وعلم الصيدلة وعلم النبات وعلم الملاحة وعلم الفلاحة وعلم الجغرافيا والمناخ وعلم الاجتماع وعلم التربية.

من المرجح أن تكون الفلسفة قد انتقلت إلى العرب من اللغة اليونانية ثم السريانية والفارسية ولكن من البديهي أن حكماء الضاد قد اعتبروا في العالم ونظروا في الحاضر وابتكروا التصورات المعرفية الكونية.

مقتضى القول أن حكماء الضاد في حضارة إقرا اشتغلوا على تفسير ظواهر الكون وأنتجوا عدة علوم طبيعية حول الأرض والسماء والمناخ والحيوان والنبات والطب والجغرافيا والصيدلة والفلك والمعمار.
فمن قطع شجرة الحكمة من الفردوس المفقود؟ ولماذا تغلب تصوف الاشراق على العلم المدني الطبيعي؟

المرجع:

أبو الوليد ابن رشد ، **تهافت التهافت**، تحقيق سليمان دنيا، طبعة دار المعارف، القاهرة، مصر، طبعة أولى، 1965.

أبو نصر الفارابي، **كتاب التنبيه على سبيل السعادة**، تحقيق جعفر آل ياسين، دار المناهل، بيروت،الطبعة الأولى 1985.

[1] أبو نصر الفارابي، **كتاب التنبيه على سبيل السعادة**، تحقيق جعفر آل ياسين، دار المناهل، بيروت،الطبعة الأولى 1985، ص76-77

الفصل الأول:

علم الفلاحة عند ابن العوام الاشبيلي

" لمن يريد أن يتخذ هذا الفن صنعة، يصل بها إلى معاشه ويستعين بها على قوته وقوت عياله، هذا واستوفيت القول فيه بحسب الغرض المقصود وكفيتك الاستمداد بآراء أهل الغباوة من أهل البراري"1

يتعرض قطاع الفلاحة عندنا إلى تهديدات حقيقية بسبب المخاطر الناجمة عن توقيع اتفاقيات شراكة وتبادل حر مع الدول الاستعمارية مثل اتفاقية **الأليكا** وتخلي الدولة عن دورها العادي في تنمية القطاع وعصرنته.

في هذا السياق يمكن التأكيد على علاقة التجذر بين الفلاح والأرض في المخيال الشعبي للذاكرة الوطنية وعلى المهام الإستراتيجية التي قامت بها أنماط الإنتاج الزراعية في تحقيق الأمن الغذائي وفي تصديها الوقائي من للمجاعات أثناء الكوارث والأزمات البيئية ويمكن الإشارة إلى المساهمة الفكرية التي قدمتها بلادنا إلى الحضارة الإنسانية منذ القرطاجنيين مع ماغون في تأسيس علم الفلاحة إلى ابن العوام الاشبيلي.

عاش عالم الفلاحة الأندلسي أبو زكريا يحي ابن العوام في القرن 12 ميلادي الموافق للقرن السادس هجري في اشبيلية قبل سقوطها في يد ملك القشتاليين فراندو الثالث سنة1248 بعد حصار دام ثلاثة أشهر، وإذا كان تاريخ ولادة الاشبيلي غير معروفة بالتدقيق فإنه قد توفي بالتحديد سنة 580 حسب المؤرخ الزركلي وكان قد تتلمذ على يد ابن البصال الطليطلي وابن الحجاج الاشبيلي والطنغري الغرناطي ولقد اطلع على المصادر الإغريقية واللاتينية والمشرقية في كل ما كتبه العرب والمسلمين في اختصاصه.

لقد تم نفض الغبار عن كتاب الفلاحة عام 1802 بعد ترجمة النص العربي من طرف الراهب الاسباني خوسي أنطونيو بانكيري وأصدرته الأكاديمية الملكية الاسبانية للتاريخ وعرضته المكتبة الوطنية بمدريد.

يتكون كتاب الفلاحة من بابين: الأول يضم 16 فصلا حول الفلاحة بصفة عامة والنباتات وزراعة الأرض بصفة خاصة، في حين يحتوي السفر الثاني على 14 فصلا حول تربية الحيوانات والاستفادة منها ، ويشير في التقديم إلى منزلة الفلاحة في الحياة الإنسانية وفوائدها الكثيرة ويدعم رأيه بالمأثور من الدين والحكمة.

يتناول الكتاب بالدرس والتحليل مواضيع والحراثة وطرق تسميد الأرض وأنواع السماد والغراسة وأنواع التربية والمياه والري والعوامل المؤثرة في الزراعة والنبات والأشجار المزروعات الفصلية والتركيب والنباتات التزينية التي تزرع في الحدائق والبساتين والعناية بالحيوان وتربية الماشية والمناخ والمحيط.

لقد راهن ابن العوام على عدة اعتبارات أساسية:

- تخليص موضوع الفلاحة من ميدان الطب والتداوي بالأعشاب وسعى إلى تأسيس علم خاص بها.
- لم يرض بالاكتفاء بالجانب المعرفي والبقاء في مستوى النظر بل وضع المعرفة موضع التطبيق.
- وصف التجارب الخاصة وعلاقته المباشرة بالأرض وعمله الميداني بالزراعة وتربية الحيوانات.

لقد قدم ابن العوام تفسيرا وافيا عن كيفية تنظيم زراعة النباتات في المكان وفق الطول والأهمية واخضرار أوراق الأشجار وزمن قطف الثمار وحساسيتها تجاه قوة الرياح عند هطول الأمطار وحدوث العواصف.

لقد استجاب عرضه في هذا الكتاب للتنظيم التقليدي للحدائق والبساتين وفق مربعات ومستطيلات وحرص على أن تكون الزوايا حادة وأعطى أهمية كبيرة للتنظيم المنهجي والتدرج الوظيفي لاستعمال خنادق الري.

كما يحلل الكتاب تنوع التربة الموجودة ويفرق بين التربة السوداء والتربة الحمراء وبين التربة الحجرية والتربة الطينية والتربة الرملية ويبحث في الطرق التي تساعد على تقوية النوعية والزيادة في الخصوبة وتحدث عن طرق إعداد الأرض وحرثها وتقليبها وتهويتها قبل زرعها وأشكال التسميد والتنقية والحصاد.

لقد خصص الاشبيلي بعض الفصول من كتاب الفلاحة لفن التقليم والقص والأمراض التي تصيب النباتات والأشجار وقدم فيها الطرق المساعدة على المحافظة على الغلال والفنون التي تسمح بتلوينها وتعطيرها واعتنى كذلك بالنباتات التي يتم استعمالها في الصباغة والحياكة والنسيج وترطيب الجلود وصنع الأحذية. لقد مثل كتاب علم الفلاحة عند ابن العوام الاشبيلي الخطوات الواثقة والحاسمة نحو قيام الهندسة الزراعية التي تغذت من كتب الأول في مجال النبات والتربة والحيوان والملاحظات التجريبية للرحالة عن الحدائق.

كما يتنزل هذا العلم ضمن استفادة العرب والمسلمين من انتشارهم في حوض البحر الأبيض المتوسط ومخالطتهم لعدد كبير من الشعوب والمجتمعات المغايرة لهم في إفريقيا وآسيا وتأسيسهم علم الصيدلة وعلم العقاقير pharmacologie وعلم النبات botanique وبحثهم عن المعادن والأسمدة الكيميائية.

لقد تأثر ابن العوام بكل علماء النبات والفلاحة والأرض الذين اشتهروا عند الإغريق والرومان والفرس وخاصة ترجمة نيكولا الدمشقي في القرن الأول الميلادي لكتاب أرسطو المعنون مقالة في النباتات traité des plantes والذي تضمن معالجة لفيزيولوجيا النباتات وأيضا كتاب تيوفراست المعنون: أسباب النباتات les causes des plantes الذي عاش بين 371 و288 قبل الميلاد وكتاب ديوسكوريد المادة الطبية la matière médicale الذي عاش في القرن الأول ميلادي والمؤلف الموسوعي الذي ترجمه العرب من السريالية ويعود للإغريق في نهاية القرن الثامن والمعنون agriculture nabatéenne الزراعة النبطية ، ولقد ذكر ابن العوام 585 نوعا بالاعتماد على القصص التي رواها الرحالة أثناء

زيارتهم لبلاد فارس والهند وخاصة ابن بطوطة والخوارزمي والبيروني ومعرفتهم بالعالم النباتي. كما ميز الاشبيلي بين الفلاحة والزراعة وطب النباتات واهتم بخمسة وخمسين نوعا من الأشجار المثمرة وركز بالخصوص على أشجار الزيتون والعنب والرمان والنخيل وما توفره من التمور مفيدة للصحة. لقد ترجم الكتاب إلى الأسبانية سنة 1801وتم نقله إلى الفرنسية سنة 1864 وننتظر تحقيقه في العربية2. فمتى نتعلم التمسك بالأرض ونمنح قيمة مضافة للفلاحة ونأخذ العبرة من ضياع الأندلس وخسارة اشبيليا؟

المصدر:

يحي ابن العوام الإشبيلي، كتاب الفلاحة، ترجمة وتحقيق، خوسيب أنطونيو بانكيري، نسخة المكتبة الوطنية، 1802، الأكاديمية الملكية الاسبانية للتاريخ، 767 صفحة.

1-Le livre de l’agriculture d’ibn-al-awam, traduit de l’arabe par J-J clement-Mullet, librairie A. France Albert L, herold, Successeur, Paris, 1864.

2- .L’agronomie arabo -andalouse, in, revue *le point*, avril -mai, 2019,p26.

الفصل الثاني

علوم الجغرافيا والمناخ والفلك عند الشريف الإدريسي

"روجر الثاني هو الذي استقدم الشريف الإدريسي ليصنع له شيئا في شكل صورة العالم"1[1]

عاش محمد الإدريسي من 1099 إلى 1165 م بين المغرب والأندلس وزار مصر والحجاز والشرق وانتقل إلى القسطنطينية وآسيا الصغرى و فرنسا وأنجلترا ولكي يستقر بصقلية وينتهي ذكره بعد ذلك.

لقد ولد بسبتة ودرس في جامعة القروين بفاس وبرع في الكتابة والأدب والشعر ولكنه صار عالما بالنبات والجغرافيا والفلك والمناخ والطب والفلسفة واعتبر من أول المؤسسين لعلم الجغرافيا في التاريخ ولقد قام برسم الكثير من الخرائط والصور حول البحر المتوسط وأوروبا وأفريقيا وآسيا ولقد تم اعتمادها برمتها من طرف علماء عصر النهضة الأوروبية ومثلت مادة علمية موثوقة والتي تأسست عليها فيما بعد العديد من التحولات المعرفية في النظرية والتجارب وأدت إلى تشكل العقل الحديث والقطع مع العلم القديم.

من كشوفاته تحديد وجهة الأنهار وقمم الجبال وارتفاعها ومساحة البحيرات وعمقها وحدود الدول ومنبع الوديان وكان له السبق في تفنيد الأساطير التي رددها بطليومس بأن مصدر النيل تلة في القمر ووضع نقطة تقاطع تحت خط الاستواء بين تلتقي فيها الروافد من النيل الأبيض والنيل الأزرق التي يتكون منها هذا النهر العظيم قبل دخوله إلى السودان ومصر وهي موقعه الصحيح، كما أنه اشتهر بتقديمه معلومات دقيقة على أهم المدن وعدد سكانها وموقعها من البحر وأقر بكروية الأرض قبل غيره وشبه حركتها بالبيضة ودرس موقعها في الكون ورصد حركتها في الفضاء محاطة بالمجرات وحدد مواقع الدول بدقة بالغة من خلال رسم الخرائط وإتباع خطوط العرض أو الخطوط الأفقية واستخدم خطوط الطول لكي يفسر تعاقب الفصول وأحوال الطقس ولقد أراد زيارة القطب الشمالي البارد واكتفى بوصف بحر الشمال.

كما تفطن إلى أهمية الطريق الذي تسلكه التجارة الصينية ودور التجار العرب في جلب التوابل والحرير الى أوروبا ودرس الوظيفة التي تقوم بها السفن التجاربية في حمل المعادن والأسلحة والجلود والغذاء.

[1] صلاح الدين الصفدي، **الوافي بالوفيات**، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان، طبعة 2000.

قد ولع الإدريسي بالعلوم الطبيعية والرياضيات وانتقل إلى البيلق وقرطبة و بغية التحصيل المعرفي في هذا الاختصاص وتتلمذ على ارث عالم الجغرافيا الإغريقي سطراوبون ولكنه تجاوزه في عدة مسائل.

لقد ألف سطراوبون العرب الكثير من الكتب والمخطوطات ولعل أهمها هو كتاب "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق"2[1] وكتاب "روض الأنس ونزهة النفس" وكتاب "الممالك والمسالك" ولقد ذكر كتابين هما "الجامع لصفات أشتات النبات" وكتاب "أنس المهج وروض الفرج" خاص بشمال إفريقيا وبلاد السودان.

لقد اشتهرت خريطة العالم التي نقشها الشريف الإدريسي لملك صقلية على دائرة من الفضة باسم لوحة الترسيم ووضع فيها صور عن الأقاليم السبعة وقسمها الى عشر أقسام ورسم لها صور خاصة بها وميز بين الجغرافيا والتاريخ ومن ناحية ثانية ركب الجغرافي العربي المسلم البحر في العديد من المرات وكان مولعا بمرافقة السفن التجارية في المتوسط واستكشاف المناطق البعيدة والمجهولة فيه وزياردة البلدان.

لقد غطت خريطته اليونان وآسيا الصغرى وبحر مرمره وبحر ايجه وبحر الشمال ومنطقة مقدونيا ونهر الدانوب وسواحل البحر الأسود وجزء من روسيا ومدينة سان بطرسبورج وتمكن من وصف بلاد فنلندا.

لقد كرمت وكالة النازا الأمريكية هذا العالم الجليل بأن أطلقت اسمه على جبال شوهدت في الحافة الجبلية لمنطقة سبوتنيك تلاتنوم على كوكب بلوتو، في حين ظلت جهوده العلمية في ثقافته ووطنه طي النسيان، غير أن الوافي نوحي حقق جزء من مؤلفاته ونشرها سنة 2007 ضمن منشورات وزارة الثقافة المغربية.

لقد انتصر الإدريسي في الكثير من المواقف والتصورات عن الظواهر الطبيعية في أبعادها الجغرافية والفلكية والمناخية والطبية للحجة العقلية والمنهج التجريبي على حساب الأساطير والخرافات والمرويات. فتى تعيد ثقافتنا علاقتها التأسيسية بالعلم وتتصالح مع العلماء الذين أفادوا الإنسانية بمعرفتهم واختراعاتهم؟

الاحالات والهوامش:

1- صلاح الدين الصفدي، **الوافي بالوفيات**، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان، طبعة 2000.
2- أبو عبد الله الإدريسي، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، 2010،

[1] أبو عبد الله الإدريسي، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، 2010،

الفصل الثالث:

قواعد علم الملاحة عند أحمد ابن ماجد

"ومن اختراعنا في علم البحر تركيب مغناطيس على الحقة بنفسه، ولنا فيه حكمة كبيرة لم تودع في كتاب" ، احمد ابن ماجد، الفوائد في أصول علم البحر والقواعد،1[1]

يعتقد البعض أن شهرة أحمد ابن ماجد المولود في جلفار بالجزيرة العربية سنة 1418 ميلادي والمتوفي في سنة 1500 من مرافقته المستكشف البرتغالي فاسكو دي غاما أثناء رحلته ومروره برأس الرجاء الصالح ومساعدته في اكتشاف طريق الهند والصين ولكنهم يتجاهلون إسهاماته في بناء علم الملاحة.

لقد اكتسب أمير البحر خبرة كبيرة بالمحيط الهندي والبحر الأحمر وخليج بربرا وبحر الصين واستحق عن جدارة لقب "معلم بحر الهند" أو "أسد البحر" كما ينعته الرحالة البرتغاليون وبرع في الجغرافيا والفلك والملاحة كأحسن ما يكون، ولقد كتب في المرشدات البحرية وترك لنا من المؤلفات ما حاز على إعجاب المؤرخين وأفضل إضافة للمكتبة العربية وهو كتاب "الفوائد في أصول علم البحر والقواعد".

لقد عثر على هذا المخطوط الباحث المستشرق الفرنسي جبرائيل فران سنة 1912 في المكتبة الوطنية بباريس وتمت مقارنته بمخطوط موجود في المكتبة الظاهرية بدمشق ونسخة بمكتبة ألبون ليون بأكسفور.

لقد تكلم عدة لغات ولهجات إضافة إلى اتقانه للعربية وهي الفارسية والزنجية والتاميلية ، ولقد أسهم في معرفة القياسات وأسماء الأماكن وصفات البحر وأسماء الكواكب وحركة النجوم وأحسن استخدام الإسطرلاب وألم بالأدب والتاريخ والدين والأنساب واستعمل البوصلة التي تتضمن 22 درجة وعدة آلات أخرى مثل الكمال واللوح وصنع آلة من الخشب وأسماها وردة الرياح واستخدمها لمعرفة وجهة الريح.

لقد ألف ابن ماجد الكثير من القصائد والأراجيز ولخص كتاب الفوائد في موجز ونظم عدة كتب مثل: الفصول والملل وحاوية الاختصار في علوم الإبحار وشرح الذهبية وتحفة الفحول في تمهيد الأصول والعمدة المهدية في ضبط العلوم البحرية والمنهاج الفاخر في علم البحر الزاخر ورسالة قلادة الشموس.

[1] احمد ابن ماجد، **الفوائد في أصول علم البحر والقواعد**، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، طبعة 2013، 226 صفحة.

لقد ترجم كتابه الأبرز الفوائد في أصول علم البحر والقواعد إلى معظم اللغات الأوروبية والتركية وحفظ معهد لينينغراد مخطوطة عربية في ثلاث فصول هي أزهارا في علم البحار وذكر فيها طرائق الملاحة.

علاوة على ذلك رسم ابن ماجد الكثير من الخرائط حول سواحل وجزر إفريقيا وآسيا والهند والصين ولقد أتاح له ركوب الأمواج والدخول إلى المحيطات والسفر إلى أعالي البحار معرفة المسافات والإشارات والمنازل وقياس الأمكنة والأزمنة عن طريق الآلات ومن خلال قبضة اليد والأصابع والذراع المبسوطة.

بهذا المعنى لم يكن أحمد ابن ماجد مجرد ملاح عربي ساعد فاسكو دي غاما على معرفة طريق الهند بعبور رأس الرجاء الصالح بل كان عالما كبيرا بالبحار ومؤسسا بارعا لعلم الملاحة والرصد البحري.

لقد وضع ابن ماجد اللبنات الأساسية لقيام الملاحة في المنطقة وتجاوز حدود الجغرافيا العربية وحمل مشعل التجارة ومبادئ الإسلام السمحاء في شرق آسيا وجنوبها وسواحل وجزر أفريقيا الجنوبية والشرقية وفكر في الطرق البحرية والموانئ وفي الظواهر البحرية الطبيعية وأبعادها من زاوية جغرافية ومناخية وانخرط في التصنيع واستخدام الآلات قصد إعداد الأساطيل والسفن القتالية وإتقان فنون الحرب البحرية وحرص على التمكن من المرشدات البحرية وأدوات القيس والرصد والبوصلة ووضع دستورا للملاحة.

لقد صرح حول شروط تأهيل ربان السفينة:"ينبغي لعارف هذا العلم أن يسهر الليل وأن يجتهد فيه غاية الاجتهاد ويسأل عن أهله وعن حزبه حتى يحصل مراده لأنه علم عقلي وكثرة السؤال فيه ترقية لباقيه"2[1]

على هذا الأساس يضع جملة من القواعد التي تسند علم الملاحة من حيث هو علم نفيس لا يبلغه المرء الا بتمام العمر ويتطلب الدراسة النظرية والإعداد العلمي والمعرفة المستفيضة وممارسة التجريب والتكرار ومداومة التحصيل والاجتهاد عن طريق الاختراع والابتكار بامتلاك المهارة والحذق والتصنيع والخبرة.

لقد ألزم ابن ماجد الربان مجموعة من القواعد والآداب التي ينبغي أن يتحلى بها لكي يقود سفينته بسلام وأن يصل إلى بر الأمان وتتمثل في خصال المغامرة والحيطة والجشاعة والحزم والفراسة والانتباه وسرعة البداهة والتواصل والأمانة والصبر والتعقل والمداومة والحرص والابتكار والتأني والإيثار.

لكن لماذا ضاعت الحكمة البحرية عند ابن ماجد؟ وألا يعود اليه التمييز بين المياه الإقليمية والمياه الدولية؟ وماهي قيمة الجهود الاستكشافية التي بذلها في تنشيط الحركة البحرية الملاحية من الغرب نحو الشرق؟

[1] أنور عبد العليم، **الملاحة وعلوم البحار عند العرب**، سلسلة عالم المعرفة عدد 13، الكويت، طبعة يناير 1979، ص179

المرجع:

1- احمد ابن ماجد، **الفوائد في أصول علم البحر والقواعد**، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، طبعة 2013، 226 صفحة.

2- أنور عبد العليم، **الملاحة وعلوم البحار عند العرب**، سلسلة عالم المعرفة عدد 13، الكويت، طبعة يناير 1979، ص179

الفصل الرابع:

فكرة النشوء والارتقاء عند أبي علي مسكويه

" إن الإنسان آخر الموجودات، وان التركيبات تناهت اليه ووقفت عنده وتكثرت الأغشية واللبوسات الهيولانية على جوهره النير أعني العقل، ولما حصل الإنسان آخر الموجودات صارت الأشياء التي هي في أنفسنا أوائل، آخرة عنده"

ينتمي أبو علي مسكويه إلى العصر الذهبي لحضارة إقرأ حيث عاش بين سنة 932 و1030 في الري وأصفهان وبغداد أين تأثر بالكندي وتتلمذ على يد مترجم كتاب تهذيب الأخلاق يحي بن عدي وتناظر مع ابن سينا واشتغل بالأدب والتاريخ والطب والكيمياء والمنطق والفلسفة والإنشاء والأخلاق والسياسة.

لقد كان ناشطا سياسيا زمن البويهيين وشاعرا وموظفا في الدولة ولكن أحيطت حول شخصيته الكثير من الغموض حول مذهبه وهويته ولكن وجد إجماع حول منزعه الإنسي وحكمته العملية وأسلوبه في الحياة.

اصطحب ابن العميد وأب الفضل وترفع عن خدمة الصاحب بن عباد وذكره أبو حيان التوحيدي في كتبه كثيرا واشتغل بالكيمياء وأراد استخلاص الذهب من التراب ولكنه أقلع عن ذلك واهتم بالأدب والفلسفة.

كان أول من تناول موضع الأخلاق والقيم بأسلوب علمي وخصص لإصلاح الأنفس وتهذيب الطباع عدة مؤلفات أهمها: تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق والفوز الأكبر والفوز الأصغر وترتيب العادات والأنس الفريد وتجارب الأمم والمستوفى والأدوية المفردة وتركيب الباجات في الأطعمة والأشربة والجامع وطهارة النفس ورسالة في اللذات والآلام في جوهر النفس ورسالة في حقيقة العدل وفي النفس والعقل وترتيب السعادات والحكمة الخالدة وآداب العرب والفرس ورسالة نديم الأحباب وجليس الأصحاب.

كان يتقن العربية والفارسية وجملة من اللغات الشرقية وكان له السبق قبل غيره في القول بنظرية التطور ووجود تسلسل بين القرد والإنسان وبين الهمجي والمتمدن وبين النفس النباتية والنفس الحيوانية والناطقة.

لقد جمع بين الفلسفة والتاريخ ونظر إلى السياسة من جهة الأخلاق والطب وحاول التفريق بين الحكمة والفلسفة وبين الأخلاق والإيتيقا وسعى لتفادي القسمة المغلوطة بين النظر والعمل الموروثة عن الإغريق.

قام بإثبات وجود الصانع لهذا الكون وأقر بالنبوة ضد منكريها وزاد على ذلك بقوله بخلود النفس وبحث سبل فوزها بالسعادة ووجد ذلك في إتباع الفضيلة والابتعاد عن الرذيلة وصحة المزاج وجمال الفعل وركز على مطلب العدل بالنسبة للحكام ورأى في الحاكم العادل المثل الأعلى للمجتمع وأصل النظام في الدولة.

لقد جعل من مبحث السعادة حكمة الحياة في المجال العملي شغله الشاغل وفرق فيها بين السعادة العامة والسعادة الخاصة وبين سعادة النفس وسعادة البدن وبين السعادة الجزئية والسعادة التامة ووجدها في الحكمة. كما عمل على التمييز بين الفلسفة الحكمة وقسم الأولى إلى بعد نظري يحدث بالقوة التأملية وبعد عملي يتم بالقوة العاملة في حين أنه عرف الثانية بفضيلة النفس الناطقة المميزة وخصها بالمعرفة من المعقولات ما يجب أن يفعل وأن يترك وأن تدرك النفس المعقولات الضرورية للحياة العقلية السعيدة.

ان الفلسفة هي الغاية القصوى للوجود الإنساني وغاية الحياة الإنسانية والوسيلة الوحيدة للترقي الدائم من خلال التدبير المدني والمزج بين العلم والعمل وجعل تنظيم الأفعال وفق سنن الكون سبيل السعادة المطلقة.

لقد عالج مسكويه الخوف من الموت بالإقبال على مسرات الحياة ورفض التعامل معه كعقوبة وألم عظيم واعتباره نتيجة حتمية ونهاية منطقية وزيادة الأمل والتقليل من الانزعاج حول ما يحدث للمرء في الآخرة. لقد ذكر في وصيته الأخلاقية الشهيرة أن من " علامة حكمته أن يستبصر في اعتقاداته حتى لا يفوته بقدر طاقاته شيء من العلوم والمعارف الصالحة، ليصلح أولا نفسه ويهذبها ويحصل له من هذه المجاهدة ثمرتها التي هي العدالة، وعلى أن يتمسك بهذه التذكرة ويجتهد في القيام بها والعمل بموجبها"، فمتى تتمكن الثقافة التي تخصنا من استعادة المنزع الإنسي والإيتيقي الذي كان له الفضل مع غيره في تأسيسه؟

المراجع:

أبو علي مسكويه، **تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق** ، تحقيق ابن الخطيب، مكتبة الثقافة الدينية ، الطبعة الأولى، جزء واحد.

أبو علي مسكويه، **الحكمة الخالدة**، تحقيق عبد الرحمان بدوي، دار الرافدين، طبعة أولى ، 459 صفحة.

أبو علي مسكويه، **تجارب الأمم وتعاقب الهمم**، تحقيق سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003.

أبو علي مسكويه، **الفوز الصغر**، تحقيق صالح عضيمة، الدار العربية للكتاب، مجمع بيت الحكمة ، قرطاج، تونس، طبعة 1987، 126 صفحة.

أبو علي مسكويه، **رسالتان في اللذات والآلام والنفس والعقل**، منشورات دار الجمل، بغداد، طبعة 2009.

أبو علي مسكويه، **رسالة في الخوف من الموت**، تقديم علي محمد اسبر، دار بدايات ، دمشق، طبعة 2007. 93 صفحة.

الفصل الخامس:

خصائص علم الكيمياء عند جابر ابن حيان

" الكيمياء هو الفرع من العلوم الطبيعية الذي يبحث في خواص المعادن والمواد النباتية والحيوانية وطرق تولدها وكيفية اكتسابها خواص جديدة"- جابر ابن حيان، الكيمياء في كتابه العلم الإلهي

ولد أبو الكيمياء جابر بن حيان عام 721 ميلادي بطوس في إيران وتوفي بالكوفة في العراق عام 813 ميلادي وتأثر بجعفر الصادق وخالد ابن يزيد والحميري وكان معروفا في اللاتينية باسمyeber وgeber.

ذكر ابن خلدون بأن لابن حيان سبعين رسالة في الكيمياء كلها أشبه بالألغاز ومليئة بالأسرار وبالتالي كان أول من علم الكيمياء ومنزلته منها كمنزلة أرسطو من المنطق ولكنه اشتغل كذلك بالطب وعلم الصيدلة ومال إلى التصوف وسبق غيره في اهتمام بصناعة السموم والتداوي بها وتحضير الحوامض والعلاج بها.

تأثر بسقراط وأفلاطون وأرسطو وفيثاغورس وجالينوس وفرفريوس وديمقروطيس وهرمس وزوزيموس وأغادوثيمون وأخذ العلوم الوافدة من المشارقة والإغريق والمصريين القدامى ومن بابل والهنود والفرس.

اخترع حمض الكبريتيك وسماه زيت الزاج وألف في علوم الموسيقى والكونيات والنحو والفلك والهندسة والأحياء والتقنيات الكيميائية والمنطق والميتافيزيقا ودرس السحر وتم ترجمة مؤلفاته إلى اللغة اللاتينية.

لقد اهتم بعلم المعادن وأدخل المنهج التجريبي إلى الكيمياء وتفطن إلى أهمية الزنبق والنشادر واستعمل ثاني أوكسيد المنغنيز في صنع الزجاج واخترع القلويات وماء الذهب وماء الفضة وملح الشنادر والبوتاس وحرص على تكرير المعادن وتحضير الفولاذ واستعمال المواد الكيميائية في دبغ الجلود وصبغ الأقمشة.

أورد لنا في كتابه "مصححات أرسطو" حوارا كان قد جرى بين أرسطو والخيميائي الفارسي أوستانس وقسم المواد بالانطلاق من المكونات والعناصر التي تتشكل منها وهي: الأغوال والمواد والمركبات ووضع نظرية في الاتحاد الكيميائي بين العناصر في كتابه "المعرفة بالصفة الإلهية والحكمة الفلسفية".

كان له السبق في استعمال الميزان والتدقيق في موازين المواد الكيمائية المستعملة ودرس ظاهرة الاحتراق من زاوية كيمائية وربطها بالكبريت والكلس وقام بالتمييز المواد القابلة للاحتراق عن غيرها وصنع الحبر والطلاء والورق التي تساعد على كتابة المخطوطات والرسائل وتحفظها من البلل وحاول إيجاد الوسائل التي تمنع الحديد من الصدئ وقام بتحضير الفولاذ وكربونات الرصاص وحمض الأزوتيك.

لقد ترك لنا جابر ابن حيان مجموعة من الرسائل والكتب هي أسرار الكيمياء ونهاية الاتقان والرحمة والمكتسب وأصول الكيمياء وعلم الهيئة والخمائر الصغيرة وصندوق الحكمة وكتاب الملك وكتاب الخواص الكبير وكتاب المجردات وكتاب الخالص وكتاب السبعين والخواص والسموم ودفع مضارها وحل الرموز ومفاتيح الكنوز ولقد قام جيرار الكريموني بترجمة كتاب السبعين إلى اللاتينية عام 1187م.

جملة القول أن جابر ابن حيان اكتشف القطرون أو الصودا الكاوية واستحضر ماء الذهب وفصل الذهب عن الفضة بواسطة الحوامض واكتشف أيضا حمض النتريك وحمض الهيدروكلوريك وحمض الكبريتيك وتمكن من اعداد مجموعة كبيرة من المواد الكيميائية مثل أكسيد الأرسين وسلفيد الزئبق واخترع جهاز للتقطير أطلق عليه اسم الأمبيق وأدخل تحسينات مهمة على التبخير والتصفية والانصهار والتبلور وقام بصنع ورق غير قابل للاحتراق وشرح كيفية تحضير الأنتيمون والزرنيخ ولكنه اعتقد في صحة نظرية التولد الذاتي وأضاف إلى العناصر الأربعة الإغريقية جوهرين هما الكبريت والزئبق وربما الملح أيضا.

لقد كان جابر بن حيان على اهداء الصناعة الذرية للعالم العربي والاسلامي منذ ذلك الزمان بقوله: " إن أصغر جزء من المادة وهو الجزء الذي لا يتجزأ (الذرة) يحتوي على طاقة كثيفة. وليس من الصحيح أنه لا يتجزأ مثلما ادعى علماء اليونان القدامى، بل يمكن أن يتجزأ، وأن هذه الطاقة التي تنطلق من عملية التجزُّؤ هذه، يمكن أن تقلب مدينة بغداد عاليها سافلها. وهذه علامة من علامات قدرة الله تعالى".

في هذا السياق جده يصرح: "وأول واجب أن تعمل وتجري التجارب لأن من لا يعمل ويجري التجارب لا يصل إلى أدنى مراتب الإتقان، فعليك يا بني بالتجربة لتصل إلى المعرفة". فكيف لمن أعطى العالم علم الكيمياء وكان له السبق في إجراء التجارب أن يتم تجاهله إلى هذا الحد وأن تغفل إسهاماته في العلوم؟

المرجع:

أنظر زكي نجيب محمود، **جابر بن حيان**، نشر مؤسسة البلاغ، العراق، طبعة 2، 1987، 272 صفحة.

الفصل السادس:

علم الجبر والبرمجة عند أبي جعفر الخوارزمي

" حساب الهند قوامه تسع صور يكتفي بها في الدلالة على الأعداد الى ما لا نهاية له وأسماء مراتبها أربعة وهي الآحاد والعشرات والمئون والألوف" ، **الخوارزمي، مفاتيح العلوم،**

عاش محمد ابن موسى الخوارزمي بين 781 و850 ميلادي بين خوارزم وبغداد وتأثر بأبي كامل شجاع ابن أسلم وعاصر المأمون وعمل في بيت الحكمة ولقد اهتم بالجغرافيا والفلك ولكنه برع في الرياضيات.

لقد ألف الكثير من الكتب وترك عدد من الرسائل العلمية على غرار الجمع والتفريق في الحساب الهندي وتقويم البلدان ومفاتيح العلوم والعمل بالإسطرلاب وصورة الأرض ورسم الربع المعمور، ويبدو أن كتابي المزولات والتاريخ الذي ذكرهما ابن النديم في الفهرست قد ضاعا وأن مسلمة المجروطي قد أنقذ النسخة العربية من كتاب علم الفلك الهندي المنقول إلى اللاتينية ، غير أن كتابه المختصر في حساب الجبر والمقابلة هو العمل العلمي الذي نال به شهرة واسعة وخلده وجعل منه عالما رياضيا فائق الابتكار.

لقد قام بإضافة عدة شروح على كتاب المجسطي لبطليموس وأعاد كتابة عالم الفلك الهند المسمى السند هند الكبير وترجمه إلى اللغة العربية وأطلق عليه تسمية السند هند الصغير، كما نقل إلى لغة الضاد كتاب الجغرافيا لبطليموس وعدة كتب أخرى في الفلك والتنجيم والحساب واشتغل بطلب من المأمون في بيت الحكمة على رسم خارطة للأرض رفقة سبعين جغرافيا من مختلف أصقاع العالم وقدم في كتاب الجبر والمعادلة حلولا للكثير من المشاكل الرياضية المستعصية وعالج منهجيا المعادلات الخطية والمربعة وقدم

النظام العشري إلى العالم واشتغل على الأرقام الهندية واستخدم الجبر في حل المعادلات التربيعية وأدخل الصفر إلى العمليات الحسابية وأوجد حساب المثلثات في الهندسة وعرض طرق أساسية للحد والموازنة.

لقد فقدت النسخة العربية عن كتاب علم الحساب للخوارزمي ولكن أديلار الباثي كان قد ترجمه صحبة الجداول الفلكية إلى اللغة اللاتينية سنة 1126 ميلادي وحافظ لنا على كنز علمي ثمين كاد أن يضيع منا. بهذا المعنى يعتبر الخوارزمي المسؤول الأول عن إدخال الأرقام العربية على أساس نظام الترقيم الهندي المطور على أساس حساب النظام العشري إلى العلوم الغربية ولقد أفضى لتشكل البرمجيات والألجورزم.

من ناحية ثانية حرص الخوارزمي على معالجة أبحاث الجبر بصورة مستقلة عن نظرية الأعداد ومباحث الحساب وترتب عن إدخاله الصفر إلى مجموعة الأعداد الطبيعية إلى تحويل الحساب إلى النظام العشري المعروف في عمليات الجمع والطرح ولقد ترتب عن ذلك معالجة العديد من المشكلات الرياضية العالقة.

والحق أن الخوارزمي يشترك في مبحث الجبر والمقابلة مع عدد من العلماء العرب مثل الطوسي وسهل بن بشر والدينوري وعبد الحميد بن ترك ولكن لا أحد يمكنه أن يقلل من إسهاماته في اكتشاف علم الجبر وتطوير علم الحساب وتطبيق الرياضيات في مجالات لم تعهدها من قبل وتبارح المواضيع التقليدية التي تتراوح فيها فيها بين العدد والهندسة وتتعامل مع الأجسام الجبرية من حيث هي عناصر نظرية مستقلة عن الهندسة وتهتم بالأعداد الكسرية واللاكسرية واستفادت في ذلك من الرياضيات البابلية ومن كتاب ديوفانتوس المعنون بالأرتميطيقا، ولقد مثل الاعتماد على الجبر خطوة ثورية في العلم نقلت العقل البشري من مجرد إثارة المشاكل والبحث عن حلول إلى عرض كتابة تفسيرية تتكون من تركيب لأوليات ونماذج.

إذا عدنا إلى كتاب مفاتيح العلوم فإننا نجده يتحدث في الباب الأول بلغة معجمية واضحة عن الفقه والكلام والنحو والكتاب والشعر والعروض والأخبار وينتقل في الباب الثاني إلى معالجة قضايا عقلية وعلمية أكثر دقة وواقعية مثل الفلسفة والمنطق والطب وعلم العدد والهندسة وعلم النجوم والموسيقى والحيل والكيمياء.

يمكن تلخيص اكتشافات الخورازمي في الفصل بين الجبر والحساب و وضع أسس علم الجبر الحديث ومعالجة الجبر بأسلوب منطقي وابتكار مفهوم الخوارزميات الذي وقع استخدامه اليوم في علم الحاسوب وتعويله على الصفر في الحساب حيث اعتبره رقما موحدا يحتاج دوما إلى رقم آخر إلى جواره ، كما اخترع شكلا لكل رقم يحمل نفس عدد الزاوية التي تدل عليه وبرع في الجغرافيا برسم خرائط دقيقة، وساعدته المعادلات الخطية والتربيعية على حل مشاكل الخلل في التوازن التجاري وقسمة الميراث ومسح وتخصيص الأراضي وحاول صناعة ساعة شمسية ضمن علم الفلك الكروي يضبط فيها الاتجاه والميقات.

اللافت للنظر أن كتاب المختصر في حساب الجبر والمقابلة بقيت منه نسخة واحدة باللغة العربية مؤرخة في1361 ولقد ترجمها فدريك روزن إلى الأنجليزية وكانت قد نقلت قبل ذلك إلى اللاتينية والى الفرنسية.

فكيف ساهمت الخوارزميات في قيام علم البرجمة وتشكيل العالم الافتراضي واللغة الرقية في الراهن؟

المصادر:

الخوارزمي محمد ابن أحمد ابن يوسف ، **مفاتيح العلوم**، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتب العربي، بيروت، طبعة ثانية ، 1989. 284 صفحة.

الخوارزمي محمد ابن أحمد ابن يوسف ، **المختصر في حساب الجبر والمقابلة**، تحقيق علي مصطفى مشرفة ومحمد مرسي أحمد، مطبعة بول باربيه، 1973، 128 صفحة.

الفصل السابع:

مولد الأنثربولوجيا عند أبي الريحان البيروني

"للتأكد من صحة الأدلة العقلية لا بد من تطبيقها على المحسوسات تطبيقاً مادياً وذلك في كافة حقول العلم المتنوعة ".

يعد أبو الريحان البيروني من أعظم العقول التي عرفتها الثقافة التي تخصنا في الحقبة الوسيطة ونابغة زمانه وذلك لتخصصه في العديد من العلوم والصناعات ولكثرة تنقله بين الدول والأمصار وكتاباته، فلقد عاش بين سنة973 و1048ميلادي في خوارزم بإقليم خراسان وأقام بجرجان والري وزار الهند والصين.

يعتبر من أول القائلين بأن الأرض تدور حول محورها وذلك بعد إدخاله الرياضيات في دراسة علم الفلك وتوصل إلى حساب المثلثات وخطوط الطول والعرض والقول بالفرق بين سرعة الضوء وسرعة الصوت والى تحديد المسافة التي تفصل الأرض عن القمر والشمس بشكل تقريبي وهو ما اثبت العلم صحته لاحقا.

لقد جمع البيروني بين الجيولوجيا والتاريخ والفيزياء والرياضيات والطب والصيدلة والفلسفة واعتبره المؤرخون مؤسس علم الإنسان أو الأنثربولوجيا وذلك لنظرته الموسوعية الشاملة وإحاطته بكل ما يتعلق بالشأن البشري من أنشطة وآثار ومؤلفات وعلوم وبرع بالخصوص في علم الفلك التجريبي والميكانيكا.

برع في الجغرافيا وابتكر سبع طرق في تحديد اتجاه الشمال والجنوب واخترع نظاما رياضيا يدلعلى بداية وانتهاء الفصول ووظف علم التنجيم لتطوير علم الفلك والرياضيات وابتكر أنظمة جبرية لحل المعادلات من الدرجة الثالثة وقدم أطروحة عن الظلال واستعانة بالتجربة وتمكن من حساب نصف قطر الأرض.

لم تمنعه اهتماماته بالعلوم التطبيقية من المساهمة في الأدب العربي والنقد الشعري وعلم الكلام والفلسفة وخاصة اتقانه للعديد من الألسن واللغات وخاصة العربية والفارسية والإغريقية والسريالية والسنسكريتية.

ساهم في قيام علم الأرض وأسس الكثير من التخصصات الدقيقة من الرياضيات وسمي بأب الجوديسيا وتخصص في دراسة الهنود والشرقيين واهتم بمعتقداتهم وأديانهم ولغاتهم وثقافتهم ونظم الحكم لديهم.

تأثر بأرسطو وتعلم على يد منصور ابن عراق وناقش الخوارزمي وراسل بان سينا والتقى بمسكويه واحتضنه الأمير أبي العباس مأمون ابن مأمون وشجعه السلطان محمود بن سبكتكين حاكم غزوة وألف في العديد من المجالات مثل الصيدلة والطب والفلك والمعتقدات والآراء وترك عددا هاما من المؤلفات والكتب مثل "تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة" و "المقالات والآراء والديانات" و"مفتاح علم الهند" و"جوامع الموجود في خواطر الهنود" و"الجماهر في معرفة الجواهر" و" الآثار الباقية عن القرون الخالية" و"الاستيعاب في تسطيح الكرة" و"التفهيم لأوائل صناعة التنجيم" و"التعليل بإجالة الوهم في معاني النظم" و"القانون المسعودي" و" التنبيه في صناعة التمويه" و"الإرشاد في أحكام النجوم" و"العجائب الطبيعية والغرائب الصناعية" و"الشموس الشافية" و"الاستشهاد باختلاف الأرصاد".

لقد أوجد البيروني الوزن النوعي لعدد من الأحجار الكريمة والجواهر الثمينة مثل الألماس والزمرد والياقوت واللؤلؤ وحدد الكثافة النسبية لعدد من المعادن مثل الحديد والبلور الصخري والزئبق والنحاس.

غير أن الدراسة الأنثربولوجية الهامة التي أجراها للهنود في مستوى طرائق عيشهم وعاداتهم وتقاليدهم ومعتقداتهم وخصائص لغاتهم وأعيادهم وأطعمتهم ومعاملاتهم هي التي جعلت منه أول عالم أنثربولوجي. في هذا السياق نجده يقول: "إن العالِم الحقيقي هو الذي يبتعد عن التعصب لرأي ويبتغي الحقيقة المطلقة بمعزل عن الأهواء والرغبات، وهو الذي يسعى وراء الحقيقة لأنها حقيقة، لا للتظاهر والمفاخرة بالمعرفة، فالتواضع من أهم صفات العالم". فماهي إسهامات "بطليموس العرب" في قيام علم الفلك الرياضي وتفجير الثورة العلمية الحديثة؟

المراجع:

أبو الريحان البيروني، **القانون المسعودي**، دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد الدكن، الهند، طبعة أولى 1954، طبعة ثانية مكملة أنجزها إمام إبراهيم أحمد بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة،1965.

أبو الريحان البيروني، **تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة**، دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد الدكن، الهند، 1958، 548 صفحة.

أبو الريحان البيروني، **الآثار الباقية عن القرون الخالية**، دار الكتب العلمية ، بيروت، طبعة 2000.

الفصل الثامن:

عمر الخيام واكتشاف العدد المجهول

" لبست ثوب العمر لم أستشر وحرت فيه بين شتى الفكر

وسوف أنضو الثوب عني ولم أدرك لماذا جئت أين المقر"

لقد برع عمر الخيام المولود في نيسابور بخراسان عام 1048والمتوفي فيها أيضا عام 1131 ميلادي في مجال الشعر والفلسفة والعلوم ولكن مجاله الإبداعي هو الرياضيات وبالتحديد علم الجبر والحساب ولقد تناول بالبحث مجالات معرفية وصناعية أخرى مثل علم الفلك والتاريخ واللغة والفقه والفيزياء والحياة.

لقد حاز شهرة عالمية من خلال الرباعيات التي ألفها بالفارسية وتضاربت التأويلات حولها ورأى الفريق الأول بأنها دعوة إلى التمتع باللذات والنعيم الدنيوي ورأى الفريق الثاني بأنها موقف واعي من الوجود.

لقد تتلمذ على يد نظام الملك في مدرسته النظامية المشهورة والسلطان ألب أرسلان وحفيده ملكشاه وكانت له صداقة مع مؤسسة فرقة الحشاشين الشاعر حسن الصباح وتنقل بين سمرقند وبلخ وأصفهان وبخارى ولكنه يعد طالبا ألمعيا أنجبته المدرسة السنوية حيث حصل على ثقة باهمانيار تلميذ الفيلسوف أبو علي.

علاوة على المؤلفات الشعرية ترك لنا الخيام مجموعة من المؤلفات الفلسفية والعلمية وخاصة الرياضية ويمكن ذكر مخطوط من كتاب "المعادلة التكعيبية وتقاطع المجالات المخروطية" الذي عثر عليه في مكتبة طهران وكذلك كتاب "تعبير المنام" وهو خاص بتفسير الرؤى والأحلام التي تظهر أثناء النوم وقام بشرح "ما أشكل من مصادرات إقليدس" واحتال "معرفة مقداري الذهب والفضة في جسم مركب منهما".

كما أنه بعث إلى القاضي أبي نصر النسوي بكتاب معنون"الخلق والتكليف" وألف "رسالة في الموسيقى" والرسالة الأولى في الوجود ومختصر في الطبيعيات ودرس مجسطي بطليموس وتعلم الطب والجراحة .

من المعلوم أن السر ادوارد فيتز جيرالد قد ترجم رباعياته الشعرية إلى اللغة الأنجليزية وذاع صيته بذلك.

لقد حول موهبته في علم الأعداد إلى إحراز تقدم كبير في علم الجبر والهندسة وتبحر في المجال الفلكي.

بيد أن الإضافة النوعية التي قدمها في الحضارة هو اشتغاله على تصحيح التقويم الفارسي القديم بطلب من ملكشاه سنة 1074ولقد اعترف مؤرخو العلم بأن هذا التقويم كان أكثر وجاهة من التقويم الغريغوري، كما يمكن أيضا التطرق إلى مساهمته في تطوير الفكر الرياضي والنظام الفلكي وخاصة في تخصص حساب المثلثات وتمكنه من حل معادلات من الدرجة الثانية والثالثة بواسطة طرق جبرية وهندسية تركز على تقاطع المخروطات، وبحث في نظرية ذات الحدين عندما يكون الأساس صحيحا موجبا، ومن جهة أخرى تمكن من وضع طرقا لإيجاد الكثافة النوعية وحاول الفصل بين المعادن وقام بتحليل الأجسام إلى عناصر.

اللافت للنظر أن عمر الخيام ظهرت عبقريته عندما انطلق من المصدر شيء ونقيضه لاشيء لكي يشير إلى الوجود والعدم وفرق بين المعدوم وغير الموجود واكتشف العدد المجهول الذي تشير إليه العلامة x.

لقد تفطن الخيام باكرا إلى أهمية الخيال في الإبداع الشعري والعلمي وحرص على التعبير عن التصورات الرياضية بواسطة الرموز والأعداد وتبنى قبل غيره الطريقة الفرضية الاستنباطية وحساب الاحتمالات.
لقد انتبه الخيام إلى أن المعادلة التكعيبية يمكن أن يكون لها أكثر من حل واحد واستخدم القطوع المكافئة والدوائر لإعطاء حلول هندسية للمعادلات التكعيبية وتجنب الوقوع في الحلول السلبية والمعادلات السلبية.
فكيف سمح هذا الاكتشاف لميلاد نظرية المجموعات وتسهيل إيجاد حلول لمشاكل رياضية عويصة؟

المصادر والمراجع:

عمر الخيام، **الرباعيات**، ترجمة أحمد رامي، دار الشروق، القاهرة، طبعة 2006، 82 صفحة.

عمر الخيام، **تعبير المنام**، تحقيق عبد المنعم الحفني، دار الرشاد، طبعة 1991، 64 صفحة.

عمر الخيام وابن سينا، **جامع البدائع**، مجموعة رسائل 17، دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة 2004، 160 صفحة

رمضان رمضان متولي، **عمر الخيام عالم الفلك والرياضيات**، ترجمة السباعي محمد السباعي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، طبعة 2008، 253 صفحة.

الفصل التاسع:

ابن النفيس واكتشاف الدورة الدموية الصغرى

"كثرة الأكل والنوم يفسدان النفس ويجلبان المضرة"

خاض علي ابن النفيس المولود في دمشق عام 1213 والمتوفي في القاهرة عام 1288 في جميع العلوم وطرق باب معظم المسائل وتجول بين الفقه والحديث والسيرة وعلم الكلام والمنطق واللغة والأدب والحساب والعلوم الإلهية والطبيعية والفلك والطب، وعاصر مؤرخ الطب ابن أبي أصيبعة ودرس معه الطب على يد ابن الدخوار، ولذلك اعتبر عالما موسوعيا وطبيبا مسلما وأعظم فزيولوجي في القرون الوسطى وذلك بعد سفره إلى مصر وتعيينه رئيس الأطباء واكتشافه الدورة الدموية الصغرى ببلورته نظرية الدورة الدموية مهدت الطريق أمام وليام هارفي لكي يكتشف الدورة الدموية الكبرى عام 1628.

لقد اهتم ابن النفيس بالتفسير العقلاني للحديث والوحي وحاول اعتماد العقل وليس النقل كما كان يجري مع المفسرين في عصره في تأويل القرآن والحديث وبذل جهودا كبيرة للتخلص من تفشي الأساطير والأخطاء ولكنه ما لبث أن انتقل إلى دراسة الطبيعة والحياة والجسم وممارسة الطب بالمستشفى الناصري بالقاهرة.

لقد ألف ابن النفيس في جل المعارف التي اشتغل عليها وترك لنا في اللغة كتاب "طريق الفصاحة" وفي الفقه كتاب "شرح كتاب التنبيه" للشيرازي وفي السيرة النبوية "كتاب الكاملية" وفي علم الحديث كتاب "مختصر في علم أصول الحديث" وفي علم الكلام كتاب صغير عارض فيه قصة حي ابن يقظان بعنوان "فاضل بن ناطق" وفي المنطق شرح كتاب الإشارات وشرح كتاب الهداية وشرح كتاب الشفاء لابن سينا.

أما معظم أبحاثه الطبية فقد احتواها كتابه الأبرز "الشامل في الصناعات الطبية" وهي أضخم موسوعة طبية ضمت ثمانية مجلدات وأردفها بشروح ورسائل وردود أبرزها "شرح تشريح القانون" لابن سينا

و"شرح فصول أبقراط" و"الرماد وشرح كتاب الأوبئة لأبقراط" و"موجز القانون أو موجز الطب" وهو تلخيص للقانون في الطب لابن سينا و"شرح تشريح جالينوس" و"المهذب في الكحل المجرب" وكتاب "شرح الأدوية المركبة" و"المختار في الأغذية" و"شرح الهداية في الطب" و"شرح مساءل حنين ابن إسحاق" و"شرح مفردات القانون" و"بغية الفطن من علم البدن" و"بغية الطالبين ومطلب المتطببين".

لقد بدأ ابن النفيس حياته المهنية في البيمارستان النوري في دمشق واتبع في عمله في التشريح والعلاج طريقة الحارث بن كلدة الثقفي وانتقل للعمل في المستشفى الناصري بالقاهرة في مصر أين ذاع صيته.

لقد تأثر بأعمال ابن سينا الطبية ولكنه لم يكتف بتقليده وإنما اعتمد على المنهج التجريبي في الطب وتمكن من اضافة العديد من الأدوية التي بقيت مجهولة عند الشيخ الرئيس ومن تطوير علم وظائف الأعضاء والتشريح وتجديد فن المداواة بالتمحيص والنقد والتركيب وتنظيم الغذاء عند المرضى واعتماد العقاقير.

لقد ضاعت مؤلفات ابن النفيس بعد سقوط بغداد في يد المغول سنة1258 وتم استرجاع قسما منها بعد ذلك كشفت ريادته في علم الأمراض وعلم التشريح وعلم وظائف الأعضاء أو الفيزيولوجيا والصناعة الطبية.

بيد أن أهم انجاز طبي قام به ابن النفيس هو اكتشافه الدورة الدموية الصغرى والشريان التاجي وتفنيده الرأي السائد الذي ظن بأن الدم يتولد في كبد وينتقل إلى البطين الأيمن للقلب ثم يسري في سائر الجسم من خلال العروق وبَيَّنَ على خلاف ذلك أن الدم يخرج من البطين الأيمن من القلب إلى الرئتين حيث يمتزج بالهواء ثم ينتقل إلى البطين الأيسر وينقى في الرئتين لكي تستمر الحياة ويكتسب الجسم القدرة على العمل.

هذا الكشف المبين ظل طي النسيان الى أن عثر محي الدين التطاوي سنة 1924 على مخطوط بمكتبة برلين تحت رقم 62243 بعنوان شرح تشريح القانون وقام بإعداد رسالة دكتورا حول موضوع تاريخ الطب العربي في جامعة فرايبورغ الألمانية بعنوان "الدورة الدموية عند القرشي" ووجد هذا العمل الجاد الأكاديمي نجاحا وأيده المستشرق مايرهوف ووضعه جورج سارتون في كتابه مقدمة إلى تاريخ العلوم.

لقد صحح ابن النفيس الكثير من الأخطاء التي كانت متداولة في عصره مثل تصحيح أخطاء تشريح القلب عند جالينوس وكشفه عن تغذية العضلة القلبية من الشرايين التاجية وتوصل الى أن الجدار الفاصل بين بطني القلب الأيمن والأيسر جدارا صلبا لا مسامات فيه ولا يسمح بمرور الدم مباشرة من الأيمن إلى الأيسر أو العكس بل الدم يمر إليه عن طريق الرئتين، وعمل على دراسة التشريح المقارن، وقام بالتمييز بين تشريح الشرايين والحنجرة والجهاز النفسي ووضع شروطا لاستعمال الأدوية منها الأوقات والمقادير وتحدث عن ضرورة الاعتدال في تناول الملح وتأثير ذلك على ضغط الدم وفرق بين التخيل والإبصار

وأسس فيزيولوجيا الرؤية واعتبر العينين آلة البصر ودرس أجهزة الجسم ووظائف أعضائه وغدده. أليس هو القائل: "لو لم أعلم أن تصانيفي تبقى بعدي عشرة آلاف سنة ما وضعتها"؟

المصدر:

علي ابن النفيس ، **الموجز في الطب**، نشر لجنة الاحياء التراث الإسلامي، الكويت، طبعة 2004، 349 صفحة.

الفصل العاشر:

الاختراع العلمي عند عباس بن فرناس

"كان يجري التجارب، ليتأكد من صحة كل ما يتوصل إليه، ولم يكن يقتنع بظاهر الأمور فقط، كما كان يتحقق من الأمور قبل عرضها على الناس وإقناعهم بها"

ولد أبو القاسم عباس بن فرناس التاكرني سنة 810 ميلادي في رندة بالأندلس زمن قيام الدولة الأموية من عائلة أمازيغية ودرس في قرطبة التي توفي فيها سنة 887 ميلادي وكان مقربا من الساسة وموضع غيرة من الفقهاء وظهرت عليه علامات النبوغ منذ صغره وتبحر في الحكمة والشعر والعلوم وبرع في الكيمياء والرياضيات والفلك والفلسفة والموسيقى ولكنه اشتهر في مجال الاختراعات العلمية والصناعات المبتكرة.

لقد كان له السبق التاريخي والعلمي في صناعة أول قلم حبر وذلك بوصله باسطوانة مملوءة بالحبر وتمكن من صناعة نظارات طبية للرؤية المتفحصة واقتدر على تصميم ساعة مائية أطلق عليها تسمية "الميقاتة" وأوجد طريقة لاستخراج الزجاج من مادة السيليكا ولقد تمكن من تقطيع الأحجار بدل إرسالها إلى مصر.

لقد اخترع المنقالة وهي آلة لحساب الزمن ووصف للناس عدة أدوية من الأعشاب لمعالجة الأمراض وكان أول من أوجد طريقة في الأندلس لكي يفك بها ألغاز وصعوبة كتاب العروض للخليل الفراهيدي.

لقد بنى في بيته قبة كنموذج يحاكي به السماء صور فيها الأجرام والسحب والصواعق والبروق والرعود وقام بصنع ذات الحلق وهي مجموعة من الدوائر والحلقات التي تحاكي حركة النجوم والكواكب السيارة.

كما برع في صناعة الشعر حتى أنه أصبح شاعر الأمويين في الأندلس ولكنه اهتم كذلك بالطب والكيمياء والصيدلة وعمل على تطبيق ما يتعلم من معارف نظرية ويقوم بتجارب عديدة ولقد ابتكر رقاص الإيقاع.

لقد انتقلت جميع اختراعاته العلمية إلى الحضارة الغربية ولقد عرف في اللاتينية باسم Armen Firman وإذا كانت السخرية والاتهامات قد لحقته من أبناء ملته فإن الإعجاب والإشادة بعبقريته قد وسمت أعماله في الملل الأخرى وبالخصوص محاولته الجريئة في التحليق عام 880 ميلادي قرب قصر الرصافة بقرطبة ويعلن عزمه على الطيران بصناعة جناحين مثل الطيور ولقد تم اعتبار هذه التجربة الفريدة أول محاولة يتطلع إليها الذكاء البشري للسفر نحو الفضاء والإقلاع نحو الكواكب وعلى الرغم من فشل تجربته إلا أنها كانت بداية واعدة وانطلاقة فعلية نحو غزو البشر للفضاء الخارجي وكان ذلك قبل قرن ونيف من قيام الأنجليزي ألمر المالمسبوري بصناعة طائرة شراعية وتجريب عملية التحليق بين 1000 و1010م.

لم يقتصر اهتمام بن فرناس على دراسة الحكمة العربية وانما تعلم اللغة الإغريقية لكي يدرس الفلاسفة الإغريق ويتطلع على العلوم القديمة التي نقلت إلى الحضارة اليونانية ويعمل على ترجمتها إلى الضاد.

لقد لقب بحكيم الأندلس وكان أول العلماء الذين قدموا للحضارة العربية الكثير من الاكتشافات العلمية المبهرة وصنعوا للإنسانية العديد من الآلات الفلكية الدقيقة واشتغل بالرياضيات والموسيقى والأدب ولكنه تعرض للتكفير والنكران ولم يصلنا مما كتبه أو ترجمه شيئا يذكر وبقيت فقط حادثة الطيران تخلد اسمه .

لقد ذكر في قصيدة من ديوانه أن الجهل ليل ليس فيه نوره حيث أنشد ما يلي:

"الجهلُ ليلٌ ليس فيه نورُ والعلمُ جرٌ نورُهُ مشهورُ

يا ابن الخلائف كم تسترَ قاعدٌ عني ويصدئ سمعك المكسورُ
وقد استبنت فساد ذاك وفي دعا مولاك من إصلاحه تيسيرُ

وأمور مُلكَكَ كلها موزونةٌ قد حاطها الإحكام والتجبيرُ

فأصخ لأصلٍ إن هززت فروعَهُ يسقط عليك اللؤلؤ المنثورُ"

بيد أن التاريخ أنصفه وأدركت البشرية قيمة اكتشافاته العلمية بعد قرون قتم اعتباره أول رائد فضاء عربي وأقيم له نصبا تذكاريا في بغداد وأطلق اسمه على مطار بطرابلس وعلى جسر يمر على النهر الكبير في قرطبة وعلى أحد الفوهات الصدمية على سطح القمر وتم افتتاح مركز يعتني بالطيران بمسقط رأسه رندة. فكيف ينعت بالجنون أعلم الناس في عصره؟ أليست هذه الاتهامات من علامات الحمق والبلاهة والجهل؟

المرجع:

ديوان عباس بن فرناس، نسخة محملة: الرابط:https://www.poetsgate.com/Poet.aspx?id=3097

الفصل الحادي عشر:

ابن عربي الفيلسوف المستكشف

"كل سفينة لا تجيئُها ريحُها منها فهي فقيرة"

يتميز الفيلسوف ابن عربي المولود في مرسية بالأندلس سنة 1164 ميلادي والمتوفي في دمشق عام 1240 ميلادي عن غيره من الحكماء بالتعمق في البحث والتبحر في العلوم وفي امتلاك اللغة الرمزية والنباهة الفكرية والحدس الاشراقي واستخدام المسلكية المنطقية والتجربة العيانية والتأويل المجازي.

لقد مر المتصوف الأكبر بتونس وأقام فيها مرتين لمدة زمنية مهمة وترك الكثير من المؤلفات والمراسلات والأقوال من أبرزها الفتوحات المكية وفصوص الحكم وترجمان الأشواق وشجرة الكون وكتاب اليقين.

لقد زار مختلف المدن والعواصم العربية بداية بغرناطة وفاس وتونس والقاهرة وبغداد ومكة والطائف وحلب ودمشق والتقى بكبار المتصوفة والحكماء مثل السهروردي وجلال الدين الرومي وذكر المؤرخون لقاء مفترض جرى في شبابه بينه والفيلسوف الكبير ابن رشد وحدوث مناقشة بينهما عن منهج الحقيقة ورؤية الكون ولكنه انتهي إلى العزوف عن طريق البرهان والتجربة واتبع مسلك الكشف والإلهام والإشراق.

لقد تأثر بفيثاغورس وأمبيدوكلس وأفلاطون وحكماء الفرس والبلاد الهند ولكنه واصل العمل الذي قام به حكماء الإشراق في الفلسفة الإسلامية والذي انطلق مع الفارابي وابن سينا وأسس التصوف الفلسفي مع الحلاج. إن الإسهامات التي قدمها ابن عربي للفلسفة الإسلامية كبيرة وحاسمة في فترة تراجع وجمود

ويمكن أن نذكر منها بحثه الدؤوب عن التعدد والاختلاف والكثرة في المستوى المنهجي وعلى الصعيد الأحكام والمعايير. لقد فتح ابن عربي العديد من المغاليق وأنار المسالك المظلمة ومكن العقل الخاص بنا من اقتحام المجهول والإبحار في دنيا العشق والتكلم بلغة الأكوان ومخالطة الطبقات العالية من الحكمة الشرقية والدرر العلمية.

علاوة على ذلك اهتم بملكة الخيال ومنحها قدرات هامة في المجال المعرفي والأبعاد الأنطولوجية لم تكن معروفة عند فلاسفة الإغريق وأبعد عنها شبهات التحريف وارتكاب الأوهام وأكد على الابتكار والإبداع.

من جهة أخرى أعطى اللغة المكانة اللائقة بها في تعريف الإنسان وفي العمل التأويلي الذي قام به في علاقة بالوجود وضمن الاشتغال على النصوص واعتبر الكون نصا كبيرا وحروفه ترمز إلى الحقائق.

اللافت للنظر هو تأكيده على فضيلة المحبة بين الناس وأهمية التسامح بين المذاهب والأديان ودعوته نحو التحرر من الجزئي واستهداف المطلق والتركيز على النقاط المشتركة بين العقائد والكليات العملية الخلقية.

لقد ارتقت الحكمة في الثقافة الخاصة بنا مع ابن عربي إلى مراتب عليا وتغلبت على العراقيل التي كان يمثلها الفقهاء وتجرأت على البحث في مناطق محرمة وتحدثت عن أمور متروكة وجوانب مطموسة وأماطت اللثام عن الكنوز المدفونة تحت ركام الموروث البالي وعبرت عنها بلغة جميلة وأسلوب رشيق.

من هذا المنطلق يستحق ابن عربي الكثير من التكريم والتبجيل والاحتفال ولا يقابل بالإهمال والنسيان والتجاهل وحكمته العظمى التي ترجمت إلى العديدة من لغات العالم وحفظها التاريخ خير مدافع عليه.

أليس هو القائل: "الزمان مكان سائل والمكان زمان متجمد"؟ وألم يصرح أيضا: "الطريق إلى الحقيقة تتعدد بتعدد السالكين؟ وهل سبقه في الريادة أحد حينما قال " المكان الذي لا يؤنث لا يعول عليه"؟

المصدر:

محي الدين بن عربي، **فصوص الحكم**، شرح عبد الرزاق الكاشاني، نشر دار آفاق، القاهرة ، 2016، 344صفحة.

الفصل الثاني عشر:

نظرية الأعداد وعلم الهندسة عند ثابت ابن قرة

" إذا شاورت العقل صار عقله لك"

ولد ثابت ابن قرة في حران بالشام سنة 836 ميلادي وتوفي في بغداد سنة 901 ميلادي وتتلمذ على يد بني موسى وعمل بالجماع الكبير بحران ولكنه أسس بالرقة مدرسة عليا لتعليم الفلك والفلسفة وراسل أبي القاسم عبيد الله ابن سليمان واسماعيل ابن بلبل وناقش في مؤلفاته سقراط واقليدس وساهم في تكوين عدة علماء هم البتاني وسنان ابراهيم وقرة بن قميطاء وأيوب ابن قاسم وابراهيم ابن زهرون وأسير بن عيسى.

أتقن ابن قرة الى جانب العربية اللغتين الاغريقية والسريالية وترجم الكثير من الرسائل في مجال الفلك والرياضيات وخاصة هندسة المخروطيات لأبولونيوس وأرخميدس واقليدس وبطليموس وعمل على تنقيح ترجمات حنين ابن اسحاق حول اقليدس والمجسطي والجغرافي لبطليموس وترجم رسالة أرخميدس التي يصف فيها الأجسام سباعية الأضلاع والتي بقيت مهملة الى أن تم اكتشافها وتحقيقها في القرن العشرين.

برع ثابت ابن قرة في الهندسة والعدد والموسيقى والمنطق والفلك والفلسفة والطب وكان قد حصل على وظيفة في بيت الحكمة في الزمن العباسي مكنته من ممارسة الترجمة ولذلك أسهم في اثراء المكتبة العربية بالعديد من الرسائل أهمها: كتاب المدخل الى علم العدد الذي ينسب الى نيقوماخوس الجاراسيني وكتاب مختصر في علم النجوم ومقالة في حساب خسوف الشمس والقمر وكتاب في الأنواء وكتاب في حركة الفلك وكتاب في ما يظهر من القمر من آثار الكسوف وعلاماته وكتاب في تركيب الأفلاك وكتاب في الهيئة وكتاب في الموسيقى وكتاب في تسهيل المجسطي وكتاب المدخل إلى المنطق يستعيد أرسطو وألف في الميدان الطبي كتابين الأول حول أوجاع الكلى والمثاني والثاني حول المولودين في سبعة أشهر.

غير أن عبقريته بدت واضحة في مجال العدد والهندسة وكان قد ألف في الرياضيات كتاب المدخل الى اقليدس وكتاب في المثلث القائم الزاوية وكتاب المختصر في علم الهندسة وكتاب في المربع وكتاب في المسائل الهندسية وكتاب في العمل بالكرة وكتاب في قطع الاسطوانة وكتاب في قطوع الاسطوانة وبسيطها وكتاب في مساحة الأشكال وسائر البسط والأشكال المجسمة وكتاب في تصحيح مسائل الجبر بالأدلة الهندسية وكتاب في أن الخطين المتساويين اذا خرجا على أقل من زاويتين قائمتين التقيا وكتاب في المخروط المكافئ وكتاب في الشكل المقلب في القطاع وكان له السبق في المزج بين علم العدد وعلم الفلك وأول من توصل إلى عد طول السنة الشمسية وكان تقديره 365 يوم وبعض الساعات والدقائق والثواني.

لقد أسند له لقب اقليدس العرب وذلك لجمعه بين العديد من العلوم وخاصة الجبر والهندسة وتمكنه من حل المعادلات الجبرية بالطرق الهندسية وتمهيده لقيام حساب التكامل والتفاضل وكانت له عدة اجتهادات في مجال الهندسة التحليلية قبل ديكارت بعقود وطور نظرية فيثاغورس ودرس للأعداد والأشكال وفرق بين الأعداد الفردية والأعداد الزوجية وبين العدد التام والعدد الناقص والعدد الزائد وأوجد طريقة سهلة تساعده على استخراج الأعداد المتحابة وعالج الأمراض الجلد والرأس والعيون والجنسية والقلب والكلى والمثانة.

في ناهية المطاف ترك لنا ثابت ابن قرة ثروة علمية هامة تركزت في علم الفلك والحساب على رسالة في حساب رؤية الأهلة ورسالة في سنة الشمس بالأرصاد وكتاب في آلات الساعات التي تسمى رخامات. فما تفسير إضاعة الوعي بالزمن وفقدان التقدير الكبير للساعة والتوقيت الذي برع فيه العالم ثابت ابن قرة؟

المرجع:

ثابن ابن قرة، **ثلاثة رسائل في علم الهندسة وعلم الهيئة**، اصدره فؤاد سزكين، طبع بالتصوير عن مخطوط 948 ، مكتبة كوبريلي، استنبول ، 2018، 116 صفحة.

الفصل الثالث عشر:

تطور علم الميكانيكا عند ابن ملكا البغدادي

" الحجر الساقط من علٍ كلما كان موضع بدء هبوطه أعلى كلما كانت شدة وقعه أقسى..."

ولد أبو البركات ابن ملكا البغدادي في البصرة سنة 1087 ميلادي وتوفي في بغداد سنة1165 ميلادي ولُقِّبَ بفيلسوف العراقيين وأوحد الزمان وعرفه عام الناس باسم البلدي وذلك لتخصصه المعمق في الفلسفة ومبالغته في الاهتمام بالعلوم التطبيقية والطب النفسي وبراعته في الابتكار في الفيزياء والميكانيكا والفلك.

تتلمذ في الطب على يد كبير الأطباء في زمانه الحسن سعيد ابن الحسين وكان واسع الاطلاع على مؤلفات جالينوس وطرقه في العلاج ولكنه سار في الطبيعيات ومابعدها على منهج أرسطو وابن سينا والفارابي.

لقد ترك لنا البغدادي مجموعة من المؤلفات الفلسفية وعدد من الرسائل العلمية يمكن إدراجها في باب الفلك مثل مقال في سبب ظهور الكواكب ليلا واختفائها نهارا وفي باب الطب مثل اختصار التشريح من كلام جالينوس وكتاب الأقرباذين ومقالة في الدواء الذي ألفه برشعثا ومقالة أمين الأرواح، وفي باب الفلسفة مثل رسالة في العقل وماهيته وكتاب النفس وكتاب التفسير وكتاب "المعتبر في الحكمة" الذي يعد الأكثر شهرة ويتكون من عدة أجزاء ويتناول فيه ظواهر الطبيعة مثل النبات والحيوان والإنسان والطبيعيات والإلهيات.

تميزت العمليات الطبية التي أجراها ابن ملكا البغدادي بالدقة في التشخيص والجرأة في المداواة والنجاعة في معالجة الأمور الوهمية بالطريقة النفسية واعتمد منهج جالينوس في مواضع وخالفه في مواضع كثيرة.

لقد تفجرت عبقرية ابن ملكا في العلوم الطبيعية التي أعلى من قيمتها بعد تعرضه للمنطق والماورائيات وتأكيده على أن "الطبيعيات هي الأشياء الواقعة تحت الحواس من أحوالها وما يصدر عنها من حركاتها

وأفعالها وما يفعل ذلك فيها من قوى وذوات غير محسوسة" وإقراره بأن " العلوم الطبيعية هي العلوم الناظرة في هذه الأمور الطبيعية ، فهي الناظرة في كل متحرك وساكن"، وبالتالي يعتبر "العلم الطبيعي المنسوب إلى الطبيعة، الذي يساير المحسوسات من الحركات والتحركات والمتحركات" وجملة آثارها.

لقد تفطن أبو البركات البغدادي إلى أن تأثير الجاذبية الأرضية في حركة الأجسام والكواكب في الفضاء وأدرك بلغة عصر قوانين الحركة التي صاغها فيما بعد كل من غاليلي وديكارت ونيوتن بصورة وضاحة وهي مسألة السقوط الحر للجسم ومسألة السرعة والتسارع ومسألة الجذب والدفع ومسألة التأثير والتأثر.

لقد ربط ابن ملكا البغدادي بين علم الطبيعة وعلم الحركة ولكنه أضاف إلى النظر العقلي والاستدلال المنطقي اعتماد التجارب العينية والحساب الرياضي والهندسة وأسس بشكل مستقل علم الميكانيكا الذي يهتم بالسرعة في الزمن والتسارع في المكان وبالقوة من الجسم وكميتها من جهة الممانعة والاحتكاك.

لقد ميز ابن ملكا بين الحركة الطبيعية التي تكون تحت تأثير قوى الجاذبية الأرضية حيث يسعى كل جسم في طلب وضعه الطبيعي عند مركز الأرض والحركة القسرية التي تحدث نتيجة تعرض الجسم لمحرك خارجي يجبره على تغيير مكانه أو وضعه ، كما يميز في الحركة الطبيعية بين المناسب والمباين ويشير إلى وجود خاصية في الجسم الطبيعي تجعله يدافع على بقائه على حاله ويحافظ على موضعه الأصلي.

بعد ذلك يتطرق إلى ظاهرة التساقط الحر للأجسام ويشير إلى أن حركة الجسم تتزايد في السرعة كلما أمعن الجسم في هبوطه الحر بحيث أن تأثيره يشتد مع طول المسافة المقطوعة وينقص لما تكون المسافة قصيرة ويستخلص أن كمية الحركة تزداد في شدة تأثيرها بازدياد المسافة المقطوعة وتنقص بقصرها.
اللافت للنظر أن ابن ملكا تحدث عن الهواء بوصفه الحيز الطبيعي وانتبه إلى السقوط في خط مستقيم ومقاومة الهواء لحركة الأجسام ونقض بذلك قول أرسطو حول تناسب سرعة سقوط الأجسام مع أثقالها.

يصرح في هذا السياق:" لو تحركت الأجسام في الخلاء لتساوت حركة الثقيل والخفيف والكبير والصغير، والمخروط المتحرك على رأسه الحاد والمخروط المتحرك على قاعدته الواسعة، في السرعة والبطء..."

بعد ذلك درس ابن ملكا علاقة الحركة بالزمان ورأى أنه كلما اشتدت القوة ازدادت السرعة وقصر الزمان واستنتج من ذلك إمكانية سلب الزمان في السرعة وليس في سلب الزمان أثناء قطع المسافة وبالتالي يكون قد قال بتناسب القوة مع تغير السرعة بالنسبة إلى الزمان واقترب من قانون تناسب القوة مع التسارع.
لقد أدى اهتمامه بقانون السرعة التي تساوي المسافة مقسومة على الزمن إلى تناول بالتحليل ظاهرة سير العجلة واستنتج أن التسارع يساوى السرعة مقسومة على الزمن أي معدل تغير السرعة بالنسبة للزمان.

في مستوى ثالث تفطن ابن ملكا بشكل واضح لا لبس فيه الى أن لكل فعل رد فعل مساو له في المقدار ومعاكس له في الاتجاه ويبرهن على ذلك بوجود جسم في حالة توازن تحت تأثير قوتين متساويتين مقدارا متعاكستين اتجاها ويقدم مثال الحلقة المتجاذبة بين مصارعين بقوله:" إن الحلقة المتجاذبة بين المصارعين لكل واحد من المتجاذبين في جذبهما قوة مقاومة لقوة الآخر، وليس إذا غلب فجذبها نحوه يكون قد خلت من قوة جذب الآخر، بل تلك القوة موجودة مقهورة ، ولولاها لما احتاج الآخر إلى كل ذلك الجذب...".
لقد حقق أبو البركات سبقا معرفيا في مجال الميكانيكا حينما وصف حركة الأجسام تحت تأثير الجاذبية ووضع نفسه ضمن عباقرة العالم في المجال الفيزيائي وأسهم بذلك دون أن يعي في قيام الثورة العلمية.

المرجع:

أبو البركات البغدادي، **المعتبر في الحكمة الإلهية**، دار ومكتبة بيبليون، طبعة 2011، 1038 صفحة.

الفصل الرابع عشر:

أدب الرحلة عند ابن بطوطة

" حزمت أمري على هجر الأحباب من الإناث والذكور، وفارقت وطني مفارقة الطيور للوكور"[1]

يعود الفضل للعلماء الذين انحدروا من تاريخنا الحضاري في اكتشاف صورة العالم كما نعيشها اليوم بعدما ابتكروا أدب الرحلة وفن السفر وعلم الملاحة وتعلقوا بتجارب الهجرة والسياحة والتنقل بين البلدان وضربوا الأرض وركبوا البحر وجالوا في الآفاق واشتهر منهم في هذا المجال كل من ابن حوقل وابن جبير الأندلسي والمسعودي والشريف الإدريسي وياقوت الحموي والحسن الوزان أو ليون الإفريقي والمقدسي وحسان المراكشي وابن رسته وأحمد ابن فضلان وزيارته بلاد الروس والترك والصقالبة.

بيد أن ابن بطوطة وابن ماجد هم الأشهر والأهم في هذا الميدان وذلك لما أفادوه من رحلاتهم من أخبار واكتشافات ولامتلاكهم رؤية تاريخية وإحاطة بالجغرافيا السياسية والذوق الفني والتحليل الثقافي المقارن.

لقد انطلق محمد ابن عبد الله ابن بطوطة المولود سنة 1304 والمتوفي سنة 1377 والمنحدر من قبيلة لواتة في رحلته الاستكشافية للعالم من مسقط رأسه بطنجة من بلاد المغرب وزار الجزائر وتونس ومصر والسودان والحبشة والشام والحجاز واليمن والعراق وفارس وبلاد ماوراء النهرين والهند والصين وجاوة وبلاد الترك والروم وغرب إفريقيا ووسطها وجاب الصحراء الكبرى والجبال العالية والسواحل البحرية وبلغ آسيا الوسطى وجنوب آسيا وشرق إفريقيا والصومال وأرض الأندلس وشواطئ المحيط الأطلسي.

[1] محمد ابن عبد الله ابن بطوطة، **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، دار إحياء العلوم، بيروت، 1987، 799صفحة.

لقد بلغت المسارات التي انخرط فيها أمير الرحالين مسافات طويلة واستغرقت عقودا بأسرها وتطلبت بذل تضحيات جسيمة من الناحية المادية والاجتماعية ولكنها كانت رحلة غنية ومثمرة ومفيدة إلى أبعد الحدود.

لقد كان ابن بطوطة يتقن العديد من اللغات إلى جانب العربية والأمازيغية والتركية والفارسية وبرع في الشعر والأدب والرواية وترك لنا كتابه الشهير **"تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار"** الذي صور فيها معظم البلدان التي زارها ووصف ما رأى من عادات وتقاليد وذكر الكثير من الأحداث والأفراد ونال به شهرة أول رحالة منفرد قبل بداية النقل البخاري وتمت ترجمة بعض فصوله إلى اللغة الألمانية.

لقد دوّن أهمية التصنيع في تقدم الدول وتسهيل استعمال النقود الورقية للعمليات التجارية وتوقف عند الوجبات الغذائية والنبتات والتوابل المستعملة في المطبخ وفي الطب واهتم بالحيوانات الأهلية والملابس وانتبه إلى جمالية صور الصين العظيم وتعجب من تجاوب الشعوب الأسيوية في جزر ماليزيا وأندونيسيا والفلبين وبلاد التتار والأتراك مع ثقافته وحلم بعد عبوره الصحراء بجلب كنوز الذهب من أدغال إفريقيا.

لقد تعرض أثناء رحلاته للكثير من المخاطر والأهوال وعاش وضعيات قصوى تغلب عليها بالاستعانة بالصبر والتسلح بالإرادة وبالتقرب من الملوك والسلاطين والأمراء وساهم في توطيد السلم بين الدول وإبرام اتفاقيات صلح وتوقيع معاهدات في التبادل التجاري وقام بالتعريف بثقافته وآدابه وقيمها الكونية.

لقد بلغ القاضي الرحالة ابن بطوطة مراده من الدنيا ومراميه من الحياة بالسياحة في الأرض ومقابلة معظم شعوب الكون والتعرف على عاداتهم وتقاليدهم والالتقاء بهم في أماكن تواجدهم والتواصل مع حكامهم. لقد انتهى به المطاف إلى تفقد البحر المتوسط وزيارة جزره من الشرق إلى الغرب مبينا أهميته في العالم. فهل يمكن استئناف هذه النزعة الاستطلاعية التي اتصفت بها الشعوب الحرة وإيقاظ روح المغامرة في الفضاء من سباتها؟

المصدر:

محمد ابن عبد الله ابن بطوطة، **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، دار إحياء العلوم، بيروت، 1987، 799صفحة.

الفصل الخامس عشر:

ابن البيطار بين العلاج بالنبات وتأسيس علم الصيدلة

" إن أعمال القدماء غير كافية وغامضة من أجل تقديمها للطلاب، لذلك يجب أن تصحح وتكمل حتى يستفيدوا منها أكثر ما يمكن"

يعد أبو محمد ابن البيطار المولود في مالقة سنة 1197والمتوفي في دمشق سنة 1248من العشابين الذين أنجبتهم الحضارة التي تخصنا والذين جعلوا من الأعشاب وصفات طبية لمعالجة الأسقام ولكنه تحول إلى عالم في النباتي وصيدلي مشهور لإتقانه العلاج بالعقاقير وتركيب الأدوية واستعماله المواد الكيميائية في الطب وانتبه لقيمة الغذاء وكل ما يلج المعدة من طعام وشراب في حدوث الأمراض وإمكانية الشفاء منها.

تتلمذ على يد ابن العباس النباتي في اشبيليا وعبد الله الكتامي ولكنه ما لبث أن قام برحلة علمية انطلقت من المغرب والجزائر وتونس ومر بمصر والحجاز وغزة ووصل إلى بيروت ودمشق والعراق وزار بلاد الروم واليونان والتقى بالعلماء وتجادل معهم وتعلم الكثير من الدروس رحلاته واستكشافاته. ولقد ساعدته معرفته باللغتين الفارسية واليونانية وربما اللغة اللاتينية على الاطلاع على كتب المتقدمين من الحضارات الأخرى ونقلها بالعربية إلى دائرة الإسلام والاستفادة من علومها ومعارفها ونظرياتها ومذاهبها ونتائجها.

لقد قام بتفسير كتاب ديسقوريدس الإغريقي عن النبات وأخذ عن أبقراط وألف العديد من الكتب أهما "الجامع لمفردات الأدوية والأغذية" والذي قال عنه: "وسميته الجامع لكونه بين الدواء والغذاء، واحتوى على الغرض المقصود مع الإيجاز والاستقصاء"[1]، وله كتاب آخر بعنوان "المغني في الأدوية المفردة" خرج فيه عن جالينوس وتأثر فيه بابن سينا والشريف الإدريسي وكتب أيضا رسالة في "التداوي بالسموم"

[1] ضياء الدين ابن البيطار، **الجامع لمفردات الأدوية والأغذية**، أربع أجزاء بمجلدين، دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة، 1040 صفحة.

و"مقال في الليمون" و"كتاب في الطب" و"ميزان الطبيب" وكتاب "الأفعال الغريبة والخواص العجيبة" وكتاب "الإبانة والإعلام بما في المناهج من الخلل والأوهام" أكد فيه على دور التجربة في كسب العلوم وتحصيل المعارف وتفطن فيه إلى أهمية الأوهام والأخطاء بغية التصحيح والتعديل وبناء الحقائق الصلبة.

إذا أدخل إلى مؤلفاته المجهودات العلمية التي أخذها من كتب ابن الحجاج الاشبيلي وابن العوام والغافقي والزهاوي وابن سمحون وابن جزلة وثابت ابن قرة وأبو بكر الرازي وترك معظم أسماء النباتات بلغاتها الأصلية فإنه قد كون عدد من العلماء والكتاب والأطباء ولعل أبرزهما ابن أبي أصيبعة وإبراهيم الدمشقي. يقول عنه ابن أبي أصيبعة: " رأيت في حسن عشرته وكمال مروءته وكرم نفسه ما يفوق الوصف، وشاهدت معه في ظاهر دمشق كثيرا من النباتات في مواضعها، ووجدت عنده من الذكاء والفطنة والدراية في النبات وفي الكتب المؤلفة في هذا العلم ما يثير التعجب لذاكرته المتوقدة النادرة..."2[1]

لقد اعتمد المنهج التجريبي في وصف1400من الأعشاب المناسبة للأمراض المداهمة للجسم ورتبها بشكل منظم وصرح في ذلك في كتابه الجامع: " ما صح عند المشاهدة والنظر، وثبت لدى بالمخبر لا بالخير أخذت به، وما كان مخالفا في القوى والكيفية والمشاهدة الحسية والماهية الصواب نبذته ولم أعمل به"3[2].

لقد تمت ترجمة هذه الموسوعة العلمية التي أشارت إلى عشرين عالما إغريقيا ومائة وخمسون حكيما عربيا ومختلف مؤلفاتهم وتجاربهم ونظرياتهم ومعارفهم إلى ثلاثة لغات:اللاتينية والألمانية والفرنسية.

لقد حقق ابن البيطار السبق في القيام بتجاربه الخاصة في اكتشاف المزيد من النباتات الطبية والأعشاب النافعة للعلاج وتقوية مناعة الجسم والجالبة للراحة والانبساط للنفس واستخدم العلاج الكيميائي للسرطان.

كما يعد عمله الطبي رائدا في دراسته تأثير الأدوية المستخلصة من النباتات والعقاقير على كل عضو من الجسم بمفرده وأوجد أدوية خاصة بالعينين والأذنين والحنجرة والمعدة وركب أدوية ضد الحمى والتسمم.

يشهد له أيضا تضحيته بنفسه من أجل رسالة نبيلة وهي زرع الأمل بالحياة لدى الناس عندما قضى نحبه فيس مختبره وهو يجمع الملاحظات ويجري التجارب ويستخلص السموم من أجل استعمالها في وصفاته.

فمتى يستعيد الأطباء والعلماء عندنا المبادرة في مجال صيانة الثروة النباتية ومعالجة الأسقام الجماعية والأمراض الفردية وتحقيق العافية للأبدان وحفظ صحة النفوس وتحسين مجال استثمار الموارد البشرية؟

المراجع:

[1] أبو العباس ابن أبي أصيبعة، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، تحقيق نزار رضا، دار مكتبة الحياة ، بيروت، 1882.
[2] ضياء الدين ابن البيطار، **الجامع لمفردات الأدوية والأغذية**، المقدمة، المرجع نفسه.

1-ضياء الدين ابن البيطار، **الجامع لمفردات الأدوية والأغذية**، أربع أجزاء بمجلدين، دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة، 1040صفحة.

2-أبو العباس ابن أبي أصيبعة، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، تحقيق نزار رضا، دار مكتبة الحياة ، بيروت، 1882.

3- ضياء الدين ابن البيطار، **الجامع لمفردات الأدوية والأغذية**، المقدمة، المرجع نفسه.

الفصل السادس عشر:

أدب السلاطين وحكمة المشرقيين عند ابن المقفع

" أعدل السير أن تقيس الناس بنفسك فلا تأتي إليهم إلا ما ترضى أن يؤتى إليك"

عاش روزبة بن داذويه بين 724 و759 وإذا كانت فيروز آبادي هي أرض المولد فإن بغداد أو البصرة هي مكان وفاته واشتهر بنقله إلى العربية الحكمة المشرقية وخاصة من اللغة الفارسية والهندية والبهلوية.

اشتهر بحكمته العملية ومعرفته النظرية ونظرته التاريخية وفكره الموسوعي وأدبه الصغير والكبير ونقده السياسي للحكام على لسان كتابه الشهير الذي يجمعه من مختلف الثقافات الشرقية والمعنون"كليلة ودمنة".

لقد كانت حياته قصيرة ولكنها حافلة ومليئة بالمغامرات والمواقف والتحديات ولذلك كانت نهايته تراجيدية وجسدت الصراع الذي اندلع بين القلم والسيف وبين المعرفة والسلطة حيث جسد نموذج المثقف الرافض.

لقد عرف عنه ارتياده سوق المربد واختلاطه بالناس وحضور مجالس العلم والنهل من المعارف الملقاة ولقد ساعده ذلك على تعلم العربية بسرعة والتخصص في الأدب وما يضمه من شعر وقصة وفقه ولغة.

تتلمذ على يد عيسى بن علي وتواصل مع مواليه من بني الأهتم وتبنى الكثير من الأفكار الفلسفية والعقدية التي أثرت في نظريته عن الإنسان وعلاقته بالكون ودوره في المجتمع ودفعته إلى اعتماد العقل والمنطق.

لقد ألف وترجم الى لغة الضاد الكثير من الكتب أهمها "كليلة ودمنة" و"الدرة الثمينة والجوهرة المكنونة" و"سير الملوك" و"التاج في سيرة أنو شروان" و"رسالة الصحابة" و"الأدب الكبير" و"الأدب الصغير" و"عجائب سجستان" و"أيساغوجي" و"باري تارمينياس" و"أنالوطيقا في تحليل القياس" و"كتاب نزدك".

لقد أطلعنا على عادات الفرس وسير ملوك الساسانيين والمعارف القادمة من الهنود ولقد اتصف برجاحة العقل وعمق التفكير وصلابة الرأي وسداد العمل وقدم قراءة فنية مغايرة للثقافة الفقهية والكلامية السائدة.

لقد جعل من الملك دبشليم والحكيم بيدبا وكسرى أنو شروان شخصيات أدبية ونزع عنها الصفة التاريخية واستعمل الحيوانات في النقاش السياسي حول الملك والعدل والظل وتدبير شؤون الناس وتحصيل السعادة.

لقد جمع في هذا الكتاب الشهير عددا هائلا من الحكم والأمثال والأقوال والعبارات والصيغ والمأثورات والمواعظ التي تنصح بتهذيب الأخلاق وتدعو إلى الابتعاد عن الرذائل والتحلي بالفضائل وترك الشرور والحقد والدسائس والكذب والجبن والسرقة والالتزام بالقيم المثلى كالصدق والعفة وأمانة والوفاء والخير.

لقد حرص على تفضيل المصلحة العامة في السياسة ونبه الى اعتماد جواهر الحكمة العملية ومدح العقل في حضارة تقدس النص بقوله:" إن أمارة صحة العقل ، اختيار الأمور بالبصر وتنفيذ البصر بالعزم".
إذا كان الأدب الصغير يتضمن حاجة العقل إلى الروية والاعتدال والتوسط ويجعل من الأدب أسلوب لتنمية العقول وشحذ الأفهام وتقوية الإرادات وتمتين العزائم فإن الأدب الكبير يشتغل على تزكية النفس بالرياضة العقلية والصداقة البشرية ويحلل قواعد الحكم وشروط الصداقة وحاجة الناس إلى التعاون. لكن لماذا تخلص الساسة من ابن المقفع بسرعة ؟ وأي خطر مثله أدبه سواء الكبير أو الصغير على سلطانهم؟

المصادر:

عبد الله بن المقفع، **كليلة ودمنة**، تحقيق عبد وهاب عزام وطه حسين، نشر مؤسسة هنداوي، طبعة 2014.

عبد الله بن المقفع، **الأدب الكبير** ، نشر مؤسسة هنداوي، طبعة 2016.

عبد الله بن المقفع، **الأدب الصغير**، تحقيق حافظ وائل خلف، مكتبة محمد على صبيح وأولاده، مصر، طبعة 1961.

الفصل السابع عشر:

الشك التجريبي وعلم المناظر عند ابن الهيثم

" إذا كان لدينا مصدر ضوء ومرآة كروية، فكيف نحدد النقطة التي ينعكس عليها الضوء لعين الناظر؟"

تراوحت حياة الحسن ابن الهيثم بين البصرة في العراق من حيث هي أرض المولد سنة965 ميلادي والقاهرة في مصر مكان الوفاة سنة1040 ميلادي وعرفت عدة رحلات علمية مهمة إلى الشام والأندلس.

حاز ابن الهيثم على فكر موسوعي جمع بين الفلسفة والأدب وبين الرياضيات وعلم الطبيعة وبين الفلك والجغرافيا وبين علم المناظر وطب العيون وتأثر بأرسطو وبطليموس وإقليدس وجالينوس والكندي وثابت ابن قرة وتوصل في مجال الإدراك البصري والهندسة إلى اكتشافات مهمة أثبت صحتها العلم الحديث.

أطلق عليه مؤرخو العلم فيزيائي القرون الوسطى وأطلق عليه المستشرق رينر اللقب اللاتيني Alhazen وحفظت مكتبة فرنسا الوطنية بباريس ومكتبة ليدن ومكتبة بودلن في أكسفورد أعماله الفيزيائية والهندسية.

كتب في العديد من المجالات واهتم بمختلف الظواهر الطبيعية والفلكية والرياضية وألف كتاب المناظر ومقال في التحليل والتركيب وتكوين العالم وميزان الحكمة ورسالة في الضوء وشكوك على بطليموس ومقالة في ضوء النجوم ومقالة في صورة الكسوف والحركة المتعرجة ورسالة في المكان وتصويبات على المجسطي وتأثير اللحون الموسيقية على النفوس الحيوانية واختلاف منظر القمر ومقالة في درب

التبانة وكيفيات الاضلال وأصول المساحة والتحديد الدقيق للقطب ورسالة في الشفق ومقالة في قوس قزح وأعمدة المثلثات والمرايا المحرقة بالقطوع وشرح أصول اقليدس والتنبيه على ما في الرصد من الغلط ورؤية الكواكب ونموذج الكون وقول في مساحة الكرة وارتفاعات الكواكب ورسالة في مساحة المجسم المكافي والمزولة الأفقية ورسالة في قرسطون وحركة القمر وإكمال المخاريط واتجاه القبلة والجامع في أصول الحساب ومقالة في تربيع الدائرة والمرايا المحرقة بالدوائر وكتاب في تحليل المسائل الهندسية والقول المعروف بالغريب في حساب المعاملات ونماذج حركة الكواكب السبع وفي الأشكال الهلالية.

لقد ترك ابن الهيثم تأثيرا واضحا في العلوم العربية ويبدو أن ابن رشد قد اعجب بأفكاره المخالفة للقدامى ومنهجه العلمي واستفاد منه تقي الدين الشامي في كتابه نور حدقة الابصار ونور حقيقة النظر عام 1574.

قال ذات يوم: " لو كنت بمصر لعملت لنيلها عملا يحصل النفع في كل حالة من حالاته من زيادة أو نقصان" وتبعا لذلك حاول بأمر من الحاكم الفاطمي بناء سدا في أسوان يقوم بتنظيم تدفق الماء في النيل ويحد من الفيضانات ولكن محاولته باءت بالفشل وترتب عن هذه المحاولة الجريئة انعزاله للتأليف في الطب والهندسة والحساب والفلك والفيزياء وعزمه على الهجرة إلى الشام والى شمال افريقية والأندلس.

كما اعتمد منهجية الشك التجريبي مصرحا :" البحث عن الحقيقة في حد ذاته أمر صعب والطريق إلى ذلك وعر فالحقائق يكتنفها الغموض. الله لم يعصم العلماء من الخطأ ولم يحم العلم من القصور والنقص". لقد اعتمد ابن الهيثم في البداية على المنهج العلمي وأعطى قيمة كبيرة للرصد والسبر والتجارب وجعل من الاستقراء أداة لتفسير الظواهر وأسس الفيزياء التجريبية ولكنه حينما انتقل إلى القاهرة وتعلم الرياضيات زاد على ذلك المنهج المنطقي واعتمد الاستنتاج الاستنباطي وصار يعتمد على الفرضيات وينقح النتائج.

قام بثورة كبيرة في مجال علم المناظر عندما تخلي عن نظرية الانبعاث التي آمن بها إقليدس وبطليموس ونظرية الولوج التي أيدها أرسطو وأسس نظرية الرؤية التي تثبت حقيقة أن الضوء يأتي من الأجسام إلى العين وليس العكس وتعد هذه النظرية المرحلة التمهيدية الضرورية لميلاد فن التصوير وظهور الكاميرا.

درس عضو العين دراسة تشريحية طبية وفسر بشكل واضح وظائف الأعضاء التي تتكون منها وبحث في التأثرات النفسية للإبصار وتناول النظم البصرية باستخدام المرايا المقعرة والكروية والزيغ الكروي وقدم عدد من الأبحاث حول قوى تكبير العدسات وأثبت أن النسبة بين زاوية السقوط وزاوية الانكسار بالنسبة للشعاع الضوئي على العدسة ليست متساوية من ناحية أولى، ومن ناحية أخرى تضمن كتاب المناظر معادلة من الدرجة الرابعة تعرف بمسألة ابن الهيثم وتتناول ظاهرة انعكاس الضوء على المرايا الكروية.

لقد كان للمجلدات السبعة من كتاب المناظر التي ألفها ابن الهيثم وترجمها رجل دين غير معروف في بداية القرن الثالث عشر إلى اللاتينية الأثر العظيم على بحوث روجر باكون والتأثير الكبير في يوهانس كيبلر ولقد قام فريدريك ريزنر بطبعه عام1572على العنوان التالي:الكنز البصري: الكب السبعة للهزن العربي.

لقد قسم ابن الهيثم علمه المستحدث الى سبعة أقسام وانطلق من التطرق الى كيفية الابصار في الجملة ثم فصل المعاني التي يدركها البصر وعللها وكيفية إدراكها وانتقل بعد ذلك الى البحث في أغلاط البصر فيما يدركه على استقامة وعللها ، ثم تساءل عن كيفية إدراك البصر بالانعكاس عن الأجسام الثقيلة ، وتطرق في المبحث الخامس إلى مواضيع الخيالات وهي الصور التي ترى في الأجسام الثقيلة ، واهتم في المبحث السادس بأغلاط البصر فيما يدركه بالانعكاس وعللها وانتهي في القسم السابع إلى البحث عن كيفية إدراك البصر بالانعطاف من وراء الأجسام المشفة المخالفة لشفيف الهواء وبلغ في هذا المبحث الإبداع المطلق.

لقد بحث ابن الهيثم في هذه الموسوعة التأسيسية للبصريات عن خواص البصر والأضواء وكيفية إشراقها وما يعرض بين البصر والضوء ودرس هيئة البصر وكيفية الإبصار ومنافع آلات الإبصار وعلل معانيها.

وضع ابن الهيثم نظرية في البصريات تقر بأن الرؤية تحدث نتيجة خروج أشعة الضوء من كل نقطة في الكائن إلى العينين بعد أن وحد علم البصريات مع الهندسة وأثبت سير أشعة الضوء في خطوط مستقيمة واختزل المنعكس والمنكسر منها في اتجاهين رأسي وأفقي واقترح نموذج لانكسار شعاع الضوء يشبه قانون سنيل المتكشف لاحقا وقدم تحليلا مقبولا للكاميرا المظلمة والكاميرا ذات الثقب التي تجعل الضوء يسمح بظهور صورة كل شيء على الشاشة في الجانب الآخر من تلك البؤرة ، وحرص على التحقق من صدق نظريته المناظرية ومعقوليتها بالقيام بعدة تجارب حول العدسات والمرايا والانعكاس والانكسار.

لقد كان لابن الهيثم السبق التجريبي من خلال تجربة القُمْرَة العربية التي تعني الغرفة المظلمة في نقل صورة من الخارج إلى شاشة داخلية عبر إجراء تجربته على مصباحه الذي تحول إلى كاميرا مظلمة.

فكيف أدت بحوثه البصرية الى التجديد في دراسة الظواهر الفلكية وتفسير كثافة الغلاف الجوي للأرض وظاهرة قوس قزح وشرح وهم القمر وفهم ظاهرة كسوف الشمس والشفق والقول بأن الرؤية تحدث في الدماغ بدل العينين وأن مجموع متواليات القوى هي التي تحدد حجم سطح مكافئ من خلال التكامل؟

المراجع:

الحسن ابن الهيثم، **كتاب المناظر**، تحقيق عبد الحميد صبره ، الناشر: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، طبعة أولى 1983، 803 صفحة.

الفصل الثامن عشر:

مجمع الأنا واكتشاف الرجل المعلق عند ابن سينا

" عرفت أنه إما أن يكون بالحقيقة أنا أو يكون هو أنا مستعملا لهذا البدن"1[1]

يتم تناول فلسفة أبو علي ابن سينا في هذا المبحث من زاوية إضافته إلى الحكمة الإغريقية عامة والى التأليفية الأرسطية خاصة في نسختها المشائية من زاوية مساهتمه في تنظيم الحكمة المشرقية أو تأسيسها. لقد وقع الاختيار على مسألة معروفة في الدراسات السنوية وانتشرت كثيرا بين الشرّاح وتكمن في أولية الاهتمام بموضوع النفس من جهة منزلتها في نظرية المعرفة وحضورها البارز من جهة نظرية الوجود وتبعات البرهنة على خلودها على صعيد الأخلاق والتربية والسياسة وقيمتها الفنية في تشاكلها مع الجسم. بيد أن المشكل الفلسفي الذي يمكن إثارته في هذا الصدد يتعلق بأهمية التناول الطبي من زاوية تشريحية الذي أجراه ابن سينا على عضو الجسم ووصفه له بالآلة وتأثير ذلك في الشعور بالأنا والتخلي عن أوهام الميتافيزيقا الوسيطة التي سلبت هوية الذات بمجرد اضمحلال البدن أو مخالطتها للبدن وتوهمها العام له.

[1] ابن سينا (أبو علي)، **الشفاء**، الطبيعيات، الفصل السابع، الفن السادس، ، المقالة الخامسة، مجد، بيروت طبعة 1982,صص 251-254.

في هذا السياق نجده يصرح هنا:" إن فعلك، إن أثبته فعلا مطلقا، فيجب أن تثبت منه فعلا مطلقا، لا خاصا، هو ذاتك بعينها"2 . لقد أثنى المؤرخون على أهمية الاكتشاف السنوي لفرضية الرجل المعلق وأشادوا بالمجهود الكبير الذي بذله في سبيل إخراج مباحث النفس من النسق المنطقي وتشييد علم نفس جديد ولكنهم لم يستثمروا هذه الفكرة في مستوى الوعي بالذات وما أحدثته من رجة هائلة في مجال إعادة النظر في الشخصية الإنسانية. ما يلفت الانتباه أن ابن سينا سواء في موسوعة الشفاء في الفصل السادس في المقالة الخامسة من الفصل السابع أو في كتاب الإشارات والتنبيهات من القسم الثاني قد قام بتنزيل مبحث علم النفس ضمن الطبيعيات. ما يفترض وقوعه هو تجاوز ابن سينا العلاقة الميتافيزيقية بين النفس والبدن التي تقوم على تدبير التعالي والمفارقة واشتغل على علاقة طبية تقوم باعتبار الجسم آلة عضوية تشارك النفس في إدراك الأنا لنفسه. بهذا المعنى يكون إثبات الأنا لوجود مرتبط بإعادة بناء موقع الجسم من الأنا حتى يتمكن من تجاوز التوهم الذاتي وينتقل إلى مستوى التمثل الذاتي ثم تنجلي الصورة تدريجيا ويتضح له الشعور الخالص بالنفس. لقد تحدث ابن سينا في مستوى إدراك الذات لذاتها عن القبل والحين والبعد وهي ثلاثة مراحل ترتقي فيها الذات من مستوى الوجود الماضي وتباشر في الزمن الحاضر شعورها بنفسها وتنتهي الى الفعل المطلق. من هذا المنطلق نحن أمام أزمنة ثلاثة تمر بها الذات في مستوى معرفتها لذاتها: المرحلة الأولى تكون فيها غافلة عن وجودها ونائمة ومتوهمة لذاتها وفي المرحلة الثانية تنتبه إلى ضرورة العودة إلى الذات فتتمثل ذاتها على النحو الذي تتمثل به الأشياء الخارجية وتدرك نفسها بواسطة الجسم وبقواه الحسية وفي المرحلة الثالثة تشعر بذاتها مستبصرة وشاعرة بماهو مدرك من ذاتها من خلال فعل مطلق وثبوت انيتها. فما الفرق بين التوهم الذاتي والتمثل الذاتي والشعور الذاتي؟ وماهي قيمة الفلسفية لهذا التنزيل؟ وما الفرق بين القيام بدراسة النفس من زاوية طبيعية وبحثها بصورة ماورائية؟ وكيف ساعد ذلك على إثبات الأنا إنيته بمعزل عن العالم المادي؟ وكيف تم هذا الإثبات؟ هل بالتخلص من البدن مثلما جرت العادة في النظرة الماورائية أم بتأكيد فعلها بالانطلاق منه وبالاعتماد عليه؟ ولماذا قرن ابن سينا العودة إلى الذات بمجموعة من التنبيهات والقوى والوسائط؟ وكيف يمكن اثبات الذات من غير وسط وبقوة من فعل الذات نفسها؟ هل هذه القوة الإدراكية جسمانية أم نفسية أم بالامتزاج بينهما؟ تفادي التوقف عند الشعور بالأنا بالعرض من خلال علم وجود جميع الأعضاء الحسية التي يعتقد الإنسان أنها توابعه ويستعملها في وجوده كآلات وبلوغ درجة الشعور بالأنا بالذات بالشعور بالهوية لمجموع الأنا. كما يعبر ابن سينا عن قيمة اكتشافه للرجل المعلق بقوله:" لو خلق الإنسان دفعة واحدة وخلق متباين الإطراف ولم يبصر أطرافه... جهل وجود جميع أعضائه وعلم وجود إنيته شيئا واحدا مع جهله جميع ذلك"3 . إن معالجة المشكل الفلسفي المتعلق بالشعور بالأنا عند أبو علي بن سينا يقتضي التطرق إلى المسألة في عدد من اللحظات منطقية تبدأ بعرض الطريقة التي اكتشف بها فكرة الإنسان المعلق أو الرجل الطائر، ثم تمر إلى بيان شروط إثبات الإنية من خلال البحث في علاقة البدن بالنفس وبعد ذلك يمكن تقديم

براهين خلود الروح والاهتداء إلى ذكر تبعات هذا التأسيس الفلسفي للأنا في حقبة معرفية تميزت بالانغلاق. فماهي القيمة الأنثربولوجية التي ترتبت عن اكتشاف الرجل المعلق من طرف أبو علي ابن سينا؟ وماذا ترتب عنها على الصعيد الفلسفي والعيادي؟ وكيف قامت الثورة الطبية في الحضارة الغربية على تخليص كتابه القانون في الطب من رواسبه الميتافيزيقية؟

المراجع:

-1ابن سينا (أبو علي)، الشفاء، الطبيعيات، الفصل السابع، الفن السادس، ، المقالة الخامسة، مجد، بيروت طبعة 1982,صص 251-254.

-2ابن سينا (أبو علي) ، الإشارات والتنبيهات، القسم الثاني الطبيعيات، تحقيق سليمان دنيا، طبعة 1957، ص320.

-3ابن سينا (أبو علي)، الشفاء، الطبيعيات، الفصل السابع، الفن السادس، ، المقالة الخامسة، مجد، بيروت طبعة 1982,ص 251

الفصل التاسع عشر:

أبو الحسن العامري بين الإبصار والإسعاد والإنقاذ

" إن المخطور بالبال متى عرض على صريح العقل ، فإنه لا محالة يحكم فيه بأحد المعاني الثلاثة: إما بأنه واجب وجوده، أو بأنه ممكن وجوده أو بأنه ممتنع وجوده" - أبو الحسن العامري

– رسالة التقرير لأوجه التقدير-

ليس غريبا أن يكون أبو الحسن العمري فيلسوفا وهو الذي انتمى إلى القرن الرابع للهجرة الذي تم اعتباره من أفضل القرون على مستوى الإنتاج المعرفي والحركية الفكرية والمناظرات بين الأعلام،لكن الأغرب أن يتم تجاهل هذه الشخصية الفذة من طرف المؤرخين وأن يظل طي الكتمان وموضع نسيان.

لقد ولد العامري في مدينة نيسابور سنة 912 وتوفي خارجها سنة 991 وكانت له نظرة موسوعية للحقيقة بحيث درس العيد من الأشياء وترك العديد من الرسائل غفي مختلف المجالات وانطلق من دراسة النبات والمناظر ضمن العلوم الطبيعية وانتقل إلى الاهتمام بالمنطق والفلسفة وعلم النفس والإلهيات والأخلاق والتربية وتطرق إلى السيرة الإنسانية وتاريخ المناقب والعلماء واشتغل على تفسير القرآن وإنقاذ الناس من بعض الآراء الكلامية المضللة كالجبرية والقدرية ولم تمنعه مقارنته بين الأديان من التأليف في علم

العقيدة وفصل الخطاب حول المعالم الإلهية وبيان الحكمة من الخلق الإلهي للكون وطرق تدبيره للعالم ولقد كانت أفضل كتبه ورسائله هي النسك العقلي والإبصار والمبصر والسعادة والإسعاد والأمد على الأبد والتقرير لأوجه التقدير وضمت الحكمة والشريعة والطبيعة والغيب والتربية والأخلاق والسياسة.

لقد تتلمذ فلسفيا على يد أبو زيد البلخي وتعلم العلوم والمعارف في مدن بلخ وطشقند وبخارى والري وخراسان ولقد عاصر الشيخ الرئيس ابن سينا واتصل بالوزير بن العميد الكاتب ونزل ببغداد سنة 364 هجري ولقد ذكره أبو حيان التوحيدي في روائع الإمتاع والمؤانسة والمقابسات واستشهد به مسكويه في تجارب الأمم وتعاقب الهمم ولقد ترك لنا ابن سينا كتابا هو الأجوبة على سؤالات سأل عنها العامري.

لقد ربط العامري التفكير الفلسفي بالإيمان الديني وجعل من الحكمة أخت الشريعة وأقر بأن طريق العقل هو طريق السعادة وانتبه إلى أن القوة العقلية لدي البشر لن تصلح لتدبير الحياة ما لم تستعين بالقوة الالهية.

إذا كان العامري قد تكلم في كتابه عن مناقب الدين الإسلامي عن العبادات والعقائد وأم البراهين على أصول التوحيد وتقديم الدليل والسياسة الشرعية وما تستلزمه من تربية للوجدان وإعداد للسلوك فإنه في رسالة الأمد على الأبد يتحدث عن الخيرات المطلقة والخيرات المقيدة وعن اطلاقية المعاني الروحانية ونسبية المعاني الجسمانية وعن الأشياء المطلوبة لذواتها والأشياء المطلوبة لجل تحقيق أغراض أخرى.

لقد وصف العامري بالمغبون والمجهول والمفترى عليه ربما لغياب النسق الفكري والمنهج العقلي عن أعماله ولخلطه بين الفلسفة والعقيدة ونقده الواضح للفلسفة اليونانية والتقليل من قيمتها بالمقارنة مع الحكمة المشرقية ولعنايته اللافتة بأصول الدين وابتعاده عن المغامرة السياسية وتمهيده الطريق لظهور ابن سينا.

ماهو هام في المجهود التوثيقي لتاريخ الحكمة التي قام به الآمدي هو ربطه ميلاد الفلسفة اليونانية بالفلسفة الشرقية والمصرية وتأكيده على الاتصال الذي تم على الصعيد المعرفي بين الحكماء الإغريق والمشارقة.

اللافت للنظر هو الشروح التي قام بها لمؤلفات أرسطو وخاصة ما تركه من مقاطع لكتاب السياسة الذي تعامل معه المؤرخون على أنه مفقود بل اعتباره من الكتب الأرسطية التي لم يتم ترجمتها أصلا للضاد. فمن أين استقى العامري أفكاره السياسة الأرسطية؟ هل من ترجمة عربية كانت موجودة أم ترجمة أخرى؟ والى مدى امتنع العرب عن ترجمة كتاب السياسات للمحافظة على نظام الحكم الموافق للدين الإسلامي

كما يزعم بعض المستشرقين وخاصة شلومو بيناس والمختص في فلسفة الفارابي محسن مهدي1[1]؟ ألا يعد رأي عبد الرحمان بدوي قريبا من الصحة بقوله وجود ترجمة للكتاب باللغة العربية ولكنها ضاعت؟

المرجع:

1-Rémi Brague, note sur la traduction arabe de la politique, in *Aristote politique, études sur la politique d'Aristote,* sous la direction de Pierre Aubenque, publiées par Alonso Tordesillas, Epiméthée PUF, Paris, 1993, p426.

[1] Rémi Brague, note sur la traduction arabe de la politique, in *Aristote politique, études sur la politique d'Aristote,* sous la direction de Pierre Aubenque, publiées par Alonso Tordesillas, Epiméthée PUF, Paris, 1993, p426.

الفصل العشرون:

الميزان الطبيعي عند أبي بكر الرازي

" هذه صناعة لا تمكن الإنسان الواحد إذا لم يحتذ فيها على مثال من تقدمه أن يلحق فيها كثير شيء ولو أفنى جميع عمره فيها لأن مقدارها أطول من مقدار عمر الإنسان بكثير"

إذا كان فخر الدين الرازي مجرد متكلم ومن العلماء الموسوعيين حيث برع في التفسير والفقه والفراسة والفيزياء واللغة والطب والفلك والرياضيات وولد في الري عام 1149 ميلادي وتوفي تقريبا في هراة عام

1209 ميلادي وألف مفاتيح الغيب وأنوار التأويل وتأسيس التقديس والمباحث الشرقية وتعجيز الفلاسفة وإذا كان أبو حاتم الرازي مجرد محدث وشاعر ومن علماء الجرح والتعديل عاش بمدينة طهران زمن العباسيين في القرن التاسع وتوفي عام934 وينسب إليه كتاب الزينة وكتاب الجامع وكتاب أعلام النبوة فإن أبو بكر الرازي هو من الفلاسفة العقلانيين الذين ألفوا كثيرا في الطب والكيمياء والمنطق والفيزياء وأسسوا الاتجاه الطبيعي المادي وكونوا مدرسة علمية تجريبية تحرص على جلب الصحة ودفع المرض.

لقد ولد الفيلسوف الطبيب في مدينة الري قرب طهران عام 865 ميلادي وتوفي فيها عام 925 ميلادي ولقد أتقن عدة لغات أهمها الفارسية والعربية والسريالية وقدم إلى بغداد زمن عضد الدولة وأخذ الفلسفة والعلم عن البلخي واشتغل عند الطبيب أبي الحسن الطبري وترك مجموعة تلاميذ وأتباع ولقد تأثر بحكمة سقراط وأبقراط وناقش جالينوس في كتاب الشكوك وترك لنا عدد من المؤلفات أهمها: الحاوي والجامع والأعصاب والمنصوري والطب الروحاني وطبقات الأبصار ومقالة في اللذة والمدخل إلى المنطق وهيئة العالم وكتاب ان للعبد خالقا والكيمياء وأنها إلى الصحة أقرب وفي الفصد والحجامة وأخلاق الطبيب.

لقد نسب أبو حاتم الرازي المتكلم الاسماعيلي صاحب أعلام النبوة إلى أبي بكر الرازي مؤلفين مفقودين هما العلم الإلهي ومخاريق الأنبياء أورد فيهما أقوال الطبيب وشكوكه حول إثبات النبوة ونقد فيهما الأديان.

من هذا المنطلق دافع الكثير من المؤرخين عن وجاهة آرائه الاعتقادية وصحة موقفه واستدلوا بالكتاب الذي ألفه وظل غير معروف وهو أسرار التنزيل في التوحيد والذي يظهر فيه فلسفة دينية ورؤية كونية تنفي الكثير من الأساطير التي أضيفت في التاريخ الإسلامي وترفض الإعجاز العلمي وتقول بالقوانين.

بيد أن العمل العلمي الذي خلد اسمه في التاريخ وجعلت كتبه الطبية تترجم إلى اللاتينية وتنتشر مخطوطاته في المكتبات الأوروبية وفي ايطاليا وهولندا بالخصوص ويظل الكثير منها غير محقق إلى حد الآن هو كشفه عن وجود ميزان طبيعي صنفه لقياس الكثافات النوعية للسوائل ولقد ترتب عن أبحاثه الفيزيائية والكيميائية تقسيمه المواد الطبيعية إلى أربعة أنواع وتتمثل في المعادن والنبات والحيوان والمواد المشتقة.

عمل على تصنيف المعادن حسب الطبائع والصفات وأعد بعض الحوامض والكحول التي استنبط منها الكثير من الأدوية واستفاد بها في مجال الصيدلة مثل حامض الكبريت الذي أطلق عليه تسمية زيت الزاج الأخضر واشتغل على معالجة الجسم والنفس على السواء ولقد تشكلت مهارته من دقة ملاحظاته وتجاربه التي أرخ لها في كتابيه الأدوية المفردة وخيوط الجراحة وجعلت منه أعظم أطباء الإنسانية على الإطلاق.
فما السر الذي دفع بالمستشرق هونكه سيغريد لكي يطلق عليه لقب "شمس العرب التي تسطع على الغرب"؟

المؤلفات:

- أبو بكر الرازي، **الحاوي في الطب**، تحقيق محمد محمد إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة أولى، 2000، 3945 صفحة.
- أبو بكر الرازي، **الطب الروحاني**، والأقوال الذهبية للكرماني معهما المناظرات لأبي حاتم الرازي، تحقيق عبد اللطيف العيد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، طبعة أولى، 1978، 292 صفحة.
- أبو بكر الرازي، **سر الأسرار في الطب والكيمياء**، دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة 2003، 128 صفحة.

الفصل الواحد والعشرون

نور الدين البطروجي وميلاد علم الفلك الحديث

" إن كوبرنيك لم يكن كوبرنيكيا"، ألكسندر كوريه

تراوحت حياة أبو إسحاق نور الدين البطروجي بين المغرب موطن الولادة في بداية القرن الثاني عشر والأندلس في اشبيلية مكان الوفاة سنة 1204 أين مارس القضاء واشتغل بالتنجيم وبرع في علم الفلك.

تتلمذ على يدي ابن طفيل وأخذ عنه قوله بالدوائر الدجاخلية في حركة الفلاك وعاصر ابن رشد وألف "كتاب الهيئة" الذي تمت ترجمته إلى اللاتينية أولا سنة 1217 من طرف ميكائيل سكوت وبعد ذلك قام موسى ابن طبون سنة 1529 بترجمته إلى العبرية وتم اعتماد هذه الترجمة العبرية لنقل الكتاب إلى اللاتينية من جديد عن طريق قالومينوس بن دافيد وتمت طباعته في البندقية وفيانا سنة1531 ميلادي ولقد اشتهر في أوروبا باسم Alpetraguis الذي أطلق على فوهة بركانية في سطح القمر تخليدا للأعمال الجليلة التي قدمها هذا العالم في مجال الفيزياء السماوية ونتيجة محاولته القطع مع النظرية الفلكية القديمة.

تتمثل الثورة الكبيرة التي قام بها البطروجي في خروجه بشكل تام عن العلم القديم وتقديمه لأول مرة نظاما فلكيا جديدا مغايرا بنسبة كبيرة عن نظام بطليموس الذي كان يرتكز على نماذج من الكواكب تدور حول مركز هو الأرض ، بينما تمكن أبو إسحاق من تقديم الأسباب الحقيقية التي تقف وراء حركات السماوية.

لقد انطلق من نظرية إيدوكس حول الأفلاك المشتركة المركز وقام بتعديلها وأضاف أشياء كثيرة إليها زعزعت تعاليم بطليموس حول السماء ومهدت الطريق أمام كوبرنيك وكبلر وغاليلي وديكارت ونيوتن لتحطيم الكوسموس وهندسة الفضاء ونفي مركزية الأرض وسكونها وانبساطها ودوران الشمس حولها.

إذا كان ابن باجة وابن طفيل لم ينجحا في مغادرة نظرية بطليموس الفلكية على الرغم من المحاولات المبذولة فإن البطروجي استعان بأعمال إبراهيم ابن يحي الزرقالي وهو فلكي أندلسي حول حركة النجوم الثابتة لكي يتجنب صعوبة تعيين نموذج أفلاك التدوير على الجسيمات اللاّمتراكزة لأرسطو ويعيد صياغة نظام ايدوكس الذي يراعي الظواهر الخاصة بالنجوم السيارة ويضاعف دوران المجرات متحدة المركز.

لقد كان أول من أشار إلى أن حركة الكواكب السيارة ليست دائرية كما زعم بطليموس وأرسطو وإنما إهليلجية تشبه حركة البيضة عندما تسبح في الماء واقترح وجود سبب مادي لحركة الكواكب والنجوم جمع فيها بين فكرة الشوق- الرغبة التي قال بها ابن ملكا البغدادي وفكرة الزخم التي قال بها فيلوبونوس لكي يفسر السرعات والحركات المختلفة وطرائق انتقال الطاقة من المحرك الأول إلى مجالات أخرى.

اللافت أن ذكر وجود "كتاب الحياة" عند البطروجي هو ترجمة خاطئة الى العربية من الترجمة اللاتينية لكتاب الهيئة وبالتالي فهو لم يؤلف مثل هذا الكتاب بل اقتصر مجهوده على علم العقاقير والصيدلة والفلك.

لقد ألغى البطروجي القسمة الإغريقية للكون إلى عالمين ما تحت القمر ومافوق القمر وقال بأن العالم السفلي والعالم الفضائي يحتكمان إلى دينامية واحدة ولقد أعجب كوبرنيك بهذه الفكرة التي جعلته يتبناها أثناء مناقشته نظرية ترتيب الكواكب السفلية ويستشهد بأفكاره الجديدة في كتابه دورات الكواكب السماوية.

كما استفاد جان بوريدان الذي عاش في القرن الرابع عشر ميلادي في مجال علم المناظر من اكتشافات البطروجي ونظرياته في البصريات وخاصة فكرته عن توالي الصور البصرية التي تم استخدامها في علم السينماتيكا وهو العلم الذي اهتم فيما بعد في الفترة الحديثة بدراسة الصورة المتحركة وعرضها في أفلام. فتى ينسب علم الفلك الحديث إلى مؤسسيه الفعليين ؟ وأليس البطروجي هو أهم علماء العصر الحديث؟

المراجع:

نور الدين البطروجي، **كتاب الهيئة**، ترجمة لاتينية من وضع مايكل سكوت سنة 1217.

*ألدو ميلي، **العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي**، دار القلم، القاهرة ، 1962.*

Nicolaus Copernius, De revolutionibus orbium coelestium, ed Johannes Petreius, 1543, 404 pages.

الفصل الثاني والعشرون:

أسبقية الوجود على الماهية عند صدر الدين الشيرازي

" الغاية المطلوبة هي تعليم ارتقاء الإنسان من حضيض النقص إلى أوج الكمال"

لئن اعتقد المؤرخون بأن أبو الوليد ابن رشد الذي عاش بين 1126و1198 ميلادي هو أخر الفلاسفة في حضارة إقرأ وان الحكمة انقطعت بانقطاع أثر فيلسوف الأندلس المفقود فإن استذكار اسم الملا صدر الدين الشيرازي الذي عاش بين 1572 في شيراز و1650 بالبصرة ميلادي كفيل بأن يدحض مثل هذا الزعم.

لقد واصل الشيرازي الحركة الفلسفية التي انطلقت مع الفارابي وطورها ابن سينا والطوسي وتميزت بنزعة اشراقية صريحة وجذر فيها البعد التأملي والتجربة العرفانية ولكنه أسس الحكمة المتعالية والحركة الجوهرية وتفلسف في قضايا وجودية في غاية من الأهمية مثل الماهية والوجود وقال بالحركة الجوهرية.

استفاد من ثراء أسرت لكي يكرس كل وقته لطلب العلم وجلب الكتب وقد حضر في اصفهان دروس الفقه عند الحارثي المعروف بالبهائي وحضر دروس الحكمة عند الحسني المعروف بالمير دماد وكذلك عند أبي القاسم المعروف بالمير فندرسكي وتتلمذ على يديه الكثير وخاصة الكاشاني واللاهيجي والتنكابني.

من كتبه الحكمة المتعالية في الأسفار الأربعة العقلية وهي من أشهر مؤلفاته ولكنه وضع أيضا الشواهد الربوبية في المناهج السلوكية وكتاب المبدأ والمعاد ورسالة المشاعر والحكمة العرشية ومفاتيح الغيب والمظاهر الالهية في أسرار العلوم الكمالية وكسر أصنام الجاهلية ورسالة في حدوث العالم ورسالة في اتصاف الماهية بالوجود ورسالة طرح الكونين ورسالة خلق الأعمال ورسالة الواردات القلبية في معرفة الربوبية ورسالة في القضاء والقدر ورسالة الجبر والتفويض ورسالة في التشخيص ورسالة في التصور والتصديق ورسالة في اتحاد العاقل والمعقول ورسالة ايقاظ النائمين وكتاب المزاج ورسالة الحشر ورسالة في المعاد الجسماني ورسالة التنقية وسريان نور وجود الحق في الموجودات وكتاب التفسير الكبير وكتاب متشابه القرآن ولمية اختصاص المنطقة بوضع معين من الفلك وديباجة عرس التقديس وأجوبة مسائل الجيلاني وأجوبة المسائل النصيرية وأكسير العارفين في معرفة طريق الحق واليقين ورسالة المسائل القدسية وشرح الهداية الأثيرية وشرح أصول الكافي وبعث بأربعة رسائل تأملية فلسفية إلى ميرداماد وأنجز عدد من الشروح الفلسفية على كتاب حكمة الإشراق للسهرودي وحاشية إلهيات الشفاء لابن سينا.

من المعلوم أن كتاب الحكمة المتعالية يتكون من أربعة أسفار: السفر من الخلق إلى الحق ، والسفر بالحق إلى الحق، ثم يقابل الأول لأنه من الحق إلى الخلق بالحق، ثم يقابل الثاني من وجه لأنه بالحق في الخلق.

اللافت أن الشيرازي كان حريصا على التأليف بين النظري والعملي وبين المعرفة والسلوك وبين علوم الدنيا والآخرة وأمن بخلق الأفعال والحرية الإنسانية ودعا إلى اليقظة الروحية والهداية بالحكمة العرفانية.

كما تفطن قبل الغربيين إشكالية الوجود والماهية بين الإلهي والإنساني وفكر في أسبقية الوجود الإنساني على الماهية وتفلسف في القضاء والقدر وترك المجال فسيحا للذات البشرية لكي تنحت مصيرها بنفسها.

ابتدع نظرية الحركة الجوهرية في مستوى العلاقة بين الحادث والقديم وذلك للرد على القائلين بالقدم العالم لكي يثبت نظرية الخلق وتفطن إلى أهمية التكامل بين المستوى النفسي والمستوى الجسماني في الحشر ولكنه أوضح بأن العالم المادي في تغير مستمر وأنها تتجدد في كل آن وسبب تغير أعراضها الظاهرة ليس في تبدل كيفياتها مثل الكم والكيف والوضع والأين وانما في حركتها الجوهرية وتغير ماهيتها باستمرار.

فهل يمكن أن يكون قوله بوحدة العاقل والمعقول في تسليح البشر بالنور بغية التغلب على الظلم والشر؟ وكيف يمكن استثمار نظرية التأويل الرمزي لجعل الهرمينوطيقا مقاما كونيا للثقافات الخصوصية؟

المراجع:

صدر الدين الشيرازي، **الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة**، ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، طبعة أولى ، 2002، 453 صفحة.

صدر الدين الشيرازي، **مجموعة رسائل فلسفية**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، طبعة أولى ، 2001، 512 صفحة.

المرهون محمد ، **نهاية الآمال في شرح رسالة خلق الأفعال**، لصدر الدين الشيرازي، دار الصفوة، القاهرة، 2011. 145 صفحة.

هادي علوي ، **نظرية الحركة الجوهرية عند الشيرازي**، نشر دار المدى، دمشق، طبعة أولى، 1983، 180 صفحة.

الفصل الثالث والعشرون:

الدعائم الرياضية والطبيعية للفلسفة العقلية عند ابن باجة

" العقل هو ملكة توجد لدى الإنسان بحكم الفطرة"[1]

يعد أبو بكر ابن باجة المولود بسرقسطة في الأندلس عام 1085 والمتوفي بفاس في المغرب عام 1138 فيلسوفا رياضيا وطبيبا موسيقيا وشاعرا سعيدا ووزيرا قاضيا في الدولة المرابطية ويعتبر مؤسس الفلسفة العقلانية في الفضاء المغاربي وفي حاضرة الأندلس وذلك من خلال استخدامه دعائم رياضية وطبيعية.
تعلم عند أبي جعفر بن هارون الترجالي واشتغل عند إبراهيم بن تيفلويت ولدى إبراهيم ابن يوسف بن تاشفين وكانت له خصومة مع ابن أبي الزهر والفتح ابن خاقان الذي ألف كتاب يتهمه فيه بالردة "قلائد العقيان ومحاسن الأعيان" وترك أثره في ابن طفيل وابن رشد وموسى ابن ميمون ونور الدين البطروجي.
لقد انطلقت القراءة التاريخية للفلسفة التي تشكلت في حضارة اقرأ مع ابن باجة ووقع الاختيار على التوجه المشائي الذي يعود إلى أرسطو ويمثله الكندي والفارابي ويتواصل مع ابن رشد ، في حين انحاز ابن طفيل إلى ابن سينا والغزالي والطوسي والكرماني والمدرسة الاشراقية بصفة عامة التي عبر عنها مفهوم الفلسفة المشرقية. والحق أن ما كتبه ابن باجة بلغة الضاد قد ضاع ولم يتم استرجاع سوى ما وقع ترجمته من لغات أعجمية على غرار اللاّتينة والعبرية وخاصة تدبير المتوحد ورسالة الاتصال ورسالة الوداع والتعاليق المنطقية وكتاب النفس وكتاب الكون والفساد ورسائل حول الموسيقى والفلك والرياضيات[2].
لقد أنجز ابن باجة شرحا للسماع الطبيعي لأرسطو[3] وعلّق على منطق الفارابي[4] وتم العثور على مخطوط كتاب الحيوان[5] وجمع جمال الدين العلوي مؤلفاته[6] ونعته عويضة بالفيلسوف الخلاق[7].
لقد عمل ابن باجة على نقد الانحراف الذي اتصف به الشغل العلمي لدى أبي حامد الغزالي نحو العرفان وأقر بأن ما توصل إليه بذوقه وقلبه يمكن أن يتم تحصيله بالعلم النظري والقوة الفكرية والبحث العقلي.
لقد فضل ابن باجة الاشتغال على البعد الطبيعي والعقلي وبرع في الرياضيات والمنطق والطب ومارس التجربة ولقد ألّف في ذلك الكثير من الشروح والتعاليق والمختصرات مثل كتاب الأدوية المفردة لجاليونس وكتاب التجربتين على أدوية بن وافد وكلام في المزاج بما هو طبي وكتاب اختصار الحاوي للرازي.
لقد أثمر السير في المسلك الواقعي الذي اتبعه ابن باجة إبداعه جملة من المفاهيم والأفكار الفلسفية يمكن أن نذكر منها التالي:

[1] أبو بكر ابن باجة، **كتاب النفس**، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، المكتبة الرقمية العالمية.
[2] ماجد فخري، **رسائل ابن باجة الإلهية**، دار النهار، بيروت، طبعة أولى، 1991، 200صفحة.
[3] أبو بكر ابن باجة، **شرح السماع الطبيعي لأرسطو**، تحقيق ماجد فخري، دار النهار، بيروت، طبعة أولى،1991، 192 صفحة.
[4] ماجد فخري، **تعاليق ابن باجة على منطق الفارابي** ، دار المشرق، بيروت، طبعة أولى، 1994، 228 صفحة.
[5] أبو بكر ابن باجة ، **كتاب الحيوان** ، تحقيق جواد عمارتي، المركز الثقافي العربي ، المغرب، طبعة أولى، 2002، 208 صفحة.
[6] جمال الدين العلوي، **مؤلفات ابن باجة** ، دار الثقافة، المغرب، طبعة أولى، 1983، 170 صفحة.
[7] كامل محمد محمد عويضة، **ابن باجة الأندلسي الفيلسوف الخلاق**، دار الكتب العلمية ، بيروت، طبعة أولى ، 1993، 246 صفحة.

- التفريق بين العقل من حيث هو ملكة فطرية أرقي من الرأي الصواب وبادئ الرأي وبين التعقل من حيث هو تفكير بشري يقبل الصدق ويتخلله الباطل. في هذا السياق نجده يقول: "خلق الله العقل فقال له أقبل فأقبل. ثم قال له أدبر فأدبر. فقال. وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا أحب اليّ منك".
- التدبير البشري والسعادة الدنيوية. التدبير عند ابن باجة ليس القيام بفعل واحد من أجل غاية معينة وإنما هو ترتيب جملة من ألفعال من أجل بلوغ غاية معلومة وتتمثل في تحقيق السعادة الدنيوية بعد الارتفاع عن المرتبة الجمهورية والمرتبة النظرية ورؤية عين الأشياء ولا معقولاتها[1]8.
- العلم المدني والسياسة العقلية. تفيد السياسة المدنية علم الإنسان والسياسة والأخلاق وتعمل على توفير الشروط الضرورية التي تعتمد عليها الذات البشرية لكي تبلغ سعادتها في الوجود المدني.
- مدينة العقل والتواصل الفكري. يعمل ابن باجة على تخليص المدينة من الجهل والفساد والظلم ويؤكد على العدل والحق والنظام ويوكل مهمة فرض القانون وتنظيم العلاقات للفيلسوف النابت.
- التمييز بين الحكمة والشريعة. دافع ابن باجة على الاجتهاد العقلي في مواجهة التقليد النصي وانتصر للحكمة النظرية مقابل التقيد بالتعاليم الدينية وشرع للتمايز المجالي بين الشرع والفكر.

لقد شيد أبو بكر ابن الصائغ فلسفته على البديهيات المنطقية والأوليات الرياضية واستند على مطابقة النظر العقلي للواقع المنظور وجريان قوانين الفكر على أرضية القوانين التي تتحكم في ظواهر الكون الطبيعي. لقد بجّل الإنسان بقوله:" كل حي يشارك الجمادات في أمور، وكل إنسان يشارك الحيوان في أمور... لكن الإنسان يتميز عن الحيوان غير الناطق والجماد والنبات بالقوة الفكرية، ولا يكون إنسانا إلا بها"[2]9.

بهذا المعنى يكون العقل الإنساني والعالم الطبيعي والعلاقة التلازمية بينهما هي الطريق الملكي نحو بلوغ السعادة الضرورية للحياة البشرية في المدينة العادلة وهي أيضا المقدمات الأولية للفلسفة التعقلية الانسية. لقد أعلن ابن باجة نهاية الأفلاطونية المحدثة التي هيمنت على الفلسفة في المشرق وقامت بتبجيل أفلوطين على أرسطو وأقر بأهمية تخليص الفقه من القياس المنطقي والبحث عن منهج خاص به. فهل يكون ابن باجة الواضع الحقيقي للبنة الأولى لقيام الفلسفة الرشدية في بعدها العقلاني الطبيعي المعروف؟

المصادر والمراجع:

[1] أبو بكر ابن باجة، **كتاب النفس**، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، المكتبة الرقمية العالمية.

[2] ماجد فخري، **رسائل ابن باجة الإلهية**، دار النهار، بيروت، طبعة أولى، 1991، 200صفحة.

[3] أبو بكر ابن باجة، **شرح السماع الطبيعي لأرسطو**، تحقيق ماجد فخري، دار النهار، بيروت، طبعة أولى،1991، 192 صفحة.

[1] أبو بكر ابن باجة، **تدبير المتوحد**، تحقيق معن زيادة ، دار رؤية، القاهرة، طبعة أولى، 2012، 186 صفحة.

[2] المرجع نفسه.

[4] ماجد فخري، **تعاليق ابن باجة على منطق الفارابي** ، دار المشرق، بيروت، طبعة أولى، 1994، 228 صفحة.

[5] أبو بكر ابن باجة ، **كتاب الحيوان** ، تحقيق جواد عمارتي، المركز الثقافي العربي ، المغرب، طبعة أولى، 2002، 208 صفحة.

[6] جمال الدين العلوي، **مؤلفات ابن باجة** ، دار الثقافة، المغرب، طبعة أولى، 1983، 170 صفحة.

[7] كامل محمد محمد عويضة، **ابن باجة الأندلسي الفيلسوف الخلاق**، دار الكتب العلمية ، بيروت، طبعة أولى ، 1993، 246 صفحة.

[8] أبو بكر ابن باجة، **تدبير المتوحد**، تحقيق معن زيادة ، دار رؤية، القاهرة، طبعة أولى، 2012، 186 صفحة.

[9] المرجع نفسه.

الفصل الرابع والعشرون:

السرد الفلسفي للحياة الطبيعية عند ابن طفيل

" من أراد الحق الذي لا جمجمة فيه، فعليه بطلبها -" الحكمة المشرقية" - والجد في اقتنائها"[1]

يعتبر ابن طفيل المولود في غرناطة بالأندلس سنة 1105 والمتوفي بمراكش في المغرب سنة 1185 فيلسوفا ساردا وطبيبا ماهرا، وتعد قصة حي بن يقظان سردا فلسفيا تاما وليست مجرد قصة أدبية ، فهي تضم شخصيتين سرديتين رئيسيتين هما أبسال وسلامان وثيمة سردية كبرى هي الحياة في الطبيعة ممثلة في جزيرة منعزلة وتتكون من بنية سردية ومن أسلوبين في الحكي هما أسلوب النظر العقلي وأسلوب الرمز الوجداني وتستهدف إثبات غائية وجودية وهي الانسجام السعيد بين الإنسان وغيره ونظام الكون.

ينطلق السرد الفلسفي للطبيعة بالتطرق إلى تولد الإنسان من غير أب وأم في بعض الجزر النائية وهي إشارة إلى فكرة النشوء والارتقاء التي أصبحت تعني فيما بعد في علوم الأحياء والطبيعة فكرة التطور، وينتقل إلى الحديث عن الأرض من حيث هي كروية الشكل وهو ما ينتافى مع النظرية القديمة التي ترى بأنها مسطحة ومنبسطة، ويشرع في وصف عملية تولد حي حينما تخمرت طينة وتعلق بها جسم هوائي لطيف يسميه بالروح، فيتكون فيه القلب وبعد ذلك الدماغ ثم الكبد فيتساوى بذلك الطفل المتولد من الطينة والطفل الخارج من رحم أمه، ويقص بعد ذلك كيفية تربيته واكتسابه اللغة من خلال محاكاته أصوات الحيوانات وظهور القوتين الضروريتين لكي يتصل بالعالم ويشعر به وهي القوة النزوعية والقوة المتخيلة.

تبدأ رحلة الوعي لدى الإنسان في بحثه عن طرائق للحماية من البرد والحرارة وامتلاك شيء للدفاع عن النفس ولذلك فقد فكر في اتخاذ ريش النسر ثوبا، ثم صنع من أوراق الشجر ثيابا ومن أغصانها سلاحا.

بعد ذلك قام بتشريح جثث الحيوانات لكي يتعرف عن المخفي داخلها ولكي يذهب من الظاهر إلى الباطن والمظهر إلى الجوهر وبدأ بالرئتين والقلب واكتشف بالإدراك والحركة الحياتية الموجودة في القلب الأيسر وانتهى إلى تحديد الجسد بكونه مجرد آلة للروح معرض للعطب ويستمر في البقاء بعد الولادة و ولكنه أثناء الوفاة يدثر ويعود إلى الأرض، ولقد احتاج أن يعرف كيفية الدفن تحت التراب من الغراب والى إدراك النار من مشاهدة احتراق أعواد الأشجار بفعل سقوط الصواعق والزوابع عليها أو احتكاك أحجار الصوان واستعملها في شواء اللحوم وطهي الطعام وانتهى إلى التيقن من تعريف الروح بكونها هواء بخاري حار من جوهر النار وأدرك بالتجربة أن **الإنسان متكثر بأعضاء جسده ولكنه واحد بروحه** واهتدى إلى وجود اتصال وثيق وعلاقة متينة بين الروح الذي في القلب وبين الدماغ وأعضاء الحواس.

علاوة على ذلك شعر بالحاجة إلى استعمال بعض الأدوات بيديه واستخدام الآلات للاندراج في الطبيعة ، فقام بتدجين الحيوانات والاستعانة بها والاستفادة من قوتها وأخرجها من حال الوحشية إلى وضع الأهلية.

[1] محمد ابن طفيل، **حي بن يقظان**، تقديم وتعليق علي بوملحم ، دار ومكتبة الهلال، بيروت، طبعة أولى، 1993.ص25.

غير أنه ما لبث أن انتقل إلى البحث عن معرفة عناصر عالم الكون والفساد من جماد وتراب وكائنات حية في سكونها وحركتها سواء أثناء ولادتها وتشكلها أو تحللها واهتدى إلى التمييز بين ما يوجد فيها من نباتات وحيوانات وجبال وأودية ومياه وأنهر وبحار وسوائل أخرى وأغذية وأحجار ودخان وهواء وبخار. على إثر ذلك ينطلق في معرفة العالم الروحاني، فيقوم بالتفريق بين النفس الحيوانية والنفس النباتية ويحدد طبائع الجماد ويرى أن الأجسام تتركب من المادة والصورة وأن النفس الحيوانية صورة الروح الحيواني بينما النفس النباتية هي صورة الروح النباتي ويؤكد على أن الطبيعة هي خاصة الجمادات وأن من مهام النفس النباتية هي التغذية والنمو والتولد ومن مهام النفس الحيوانية هي الإحساس والإدراك والحركة. زد على ذلك يفهم أن العناصر الأربعة: الهواء والنار والتراب والماء هي أبسط الأجسام وأن معنى الجسمية يعود إلى الامتداد الذي يتكون من الطول والعرض والعمق وأن معنى الصورة يعود الى الهيولى. ثم ينتبه إلى ضرورة الخوض في مسالة علل حدوث الأشياء ويصعد من الحوادث إلى المحدث ويفتش في مبدأ السببية ويفترض وجود محدث للصور لكي تعاود الظهور على الأجسام يستند على وجود سبب أول.

يقوده هذا التفكير في الأسباب إلى دراسة العالم السماوي ويدرك أن الأجرام متناهية وليست لامتناهية كما كان يظن علماء الفلك القديم لأن الحركة الدائرية المطلقة والكاملة وبحكم الرفعة بالدرجة والسمو بالجوهر ويقوم بالبرهنة على تناهي الأجرام ويستنتج من ذلك أن السماء كروية الشكل وتتكون من نجوم وكواكب. هنا نجده يصرح: "قد ثبت في علوم التعاليم بالبراهين إن الشمس كروية الشكل وان الأرض كذلك"2.[1]

غير أنه لم يجب على سؤال خطر بباله وهو هل العالم حديث أم قديم؟ ولم يقدر على ترجيح أحد الحكمين على الآخر وتفطن أنه يلزم عن القول بالحدوث أو بالقدم الإقرار بوجود علة أولى وسبب أول وقوة مطلقة، فالحدوث يحتاج إلى محدث وتحريك القديم يحتاج إلى محرك أقدم منه واستنبط من ذلك وجود الله وبحث في ذاته وصفاته وعلمه ومعرفته وقدرته وعلاقته بالعالم المادي وعلاقة عقله بالعقل الإنساني. لقد قدم من أجل إثبات وجود الله دليل الصنع الذي يقر بأن الموجودات تحتاج إلى فاعل يوجدها ولكن الفرق بينهما يكمن في أن العالم متأخر عن الله بالذات لا بالزمان ، وقدم أيضا دليل النظام والتصميم وهي الغاية من وجود الله طالما أن الله كامل ومنزه عن النقص ومن علامات كماله أن الموجودات فاضت عن ذاته.

لقد حكى أن الإنسان لا يدرك الله بواسطة بالحواس لأن الأعضاء الحسية لا تدرك سوى الأجسام بينما الله ليس بجسم ولذلك يدرك بواسطة الذات التي تتصف بالخلود وهي أشرف من الجسم ولا تفسد بفساده ولا تحل فيها صورة جديدة مكان صورة قديمة وإنما يتراوح إدراكها بين القوة والفعل وبين الزيادة والنقصان. على هذا الأساس نصح بأن تتعرف الذات على موجدها قبل الموت لكي تشتاق إليه وتصير إلى السعادة

[1] محمد ابن طفيل، **حي بن يقظان**، نفس المصدر، ص43.

الأبدية من خلال مشاهدتها له وتحقق بذلك كمالها ولذتها المعنوية، والإنسان من دون سائر الموجودات مثل النبات والحيوان والجماد يعرف الله بواسطة روحه لأن الجوهر الإلهي لا يفسد ولا يدرك بالحواس.

لقد أدى السرد الفلسفي للحياة الطبيعية الذي مارسه ابن طفيل في حي بن يقظان إلى عدد من النقاط الهامة وجملة من العبر التاريخية والدروس الفلسفية التالية:

- إجراء نقد فلسفي شامل للكثير من الأفكار العلمية الخاطئة التي قال بها من سبقه من الحكماء العرب وخاصة الفارابي في قوله ببقاء النفوس الشريرة بعد الموت في آلام لا نهاية لها وتحفظ على كتاب الشفاء لابن سينا الذي جرى فيه على مذهب أرسطو ودعا إلى اعتماد كتاب الفلسفة المشرقية وتعجب من مخاطبة الغزالي للجمهور في الكثير من رسائله وتكفيره للعلماء ونصح بعلم المكاشفة الذي تحدث عنه في كتاب المشكاة ، ورفض تصوف ابن باجة وما نسبه للحياة الطبيعية.
- تأكيد معنى الجسمية في أصل الحياة من خلال إبراز أهمية الامتداد بقوله: " فعلم أن هذا المعنى هو للجسم من حيث هو جسم لكنه لم يتأت له بالحس وجود بهذه الصفة وحدها ، حتى لا يكون فيه معنى زائد على الامتداد ويكون بالجملة خلوا من سائر الصور"3[1]. "فرأى أن الامتداد وحده لا يمكن أن يقوم بنفسه ، كما أن ذلك الشيء الممتد لا يمكن أن يقوم بنفسه دون إمتداد"4[2].
- القول بكروية الأرض وتناهي الأجرام السماوية بقوله:" فعلم أن السماء وما فيها من الكواكب أجسام ، لأنها ممتدة في الأقطار الثلاثة: الطول والعرض والعمق. ثم تفكر هل هي ممتدة إلى غير نهاية وذاهبة أبدا في الطول والعرض والعمق إلى غير نهاية، أو هي متناهية محدودة بحدود تنقطع عندها ولا يمكن أن يكون وراءها شيء من الامتداد"5[3].
- قوله بحدوث العالم ولو من جهة الإمكان وليس من جهة الزمان ورفضه فكرة قدم العالم التي تسربت من الفلسفة الأرسطية وهو ما يؤدي إلى القول بإمكانية انتهائه وزواله وتناهيه.
- اعتباره بأن طريق السعادة والنجاة والفوز يكون بالكف عن العزلة والانفراد من أجل محاسبة النفس ومجاهدة الهوى وتفضيل المعاشرة وملازمة الجماعة والمدنية بقوله: كانت ملازمة الجماعة عنده مما يدرأ الوسواس ويزيل الظنون المعترضة ويعيذ من همزات الشياطين"6[4].
- تطرقه إلى الضروري في البقاء بالنسبة للنبات والحيوان والإنسان وهو ما يعني الرغبة في حفظ الكيان والتشبث بالحياة واستعمال كل القوى المتاحة في سبيل الدفاع عن النفس واثبات الذات.

1 محمد ابن طفيل، **حي بن يقظان**، نفس المصدر، ص77
2 محمد ابن طفيل، **حي بن يقظان**، نفس المصدر، ص77
3 محمد ابن طفيل، **حي بن يقظان**، نفس المصدر، ص81.
4 محمد ابن طفيل، **حي بن يقظان**، نفس المصدر، ص131.

- أوجد حلا إجرائيا حول ثنائية الفلسفة والدين بتنزيله ضمن ثنائية الحياة الطبيعية وعالم الآخرة وقوله بالتوازي بين طريق النظر العقلي وطريق الكشف الذوقي ووصولهما إلى منبع الحق عينه ورأى بإمكانية تطابق المعقول والمنقول على صعيد المبدأ والغاية وألزم نفسه بالفهم والتأويل عند كل تعارض واختلاف بين النص والفكر والواقع ولذلك جعل من الوحي والعقل والطبيعة مسالك للمعرفة.

لقد خلص ابن طفيل قصة حي بن يقظان من جوانبها الاشراقية وأبعادها التخيلية التي ضمنها كل من ابن سينا والسهروردي وركز فيها على أركان الحياة الطبيعية والطرق الدنيوية وضمنها جملة من المناهج التربوية لبلوغ السعادة وتمكين الإنسان من الارتقاء من الحالة الطبيعية إلى الحالة المدنية ولقد استأنف ابن النفيس هذا التمشي وأعاد كتابتها بصورة طبية بحيث أثرت في جون لوك وروسو وظهر ذلك جليا في رواية روبنسون كروزوي التي ألفها دنيال ديفو وفي قصة ماوكلي فتى الأدغال وخاصة شخصية طرزان.

لكن لماذا انتقد ابن طفيل العامة واعتبر أنه لا سبيل للجمهور إلى حكمة ولا طاقة له على المكاشفة وأنهم إذا حملوا على تلك الصناعة الشريفة تاهوا وأن دفعهم إلى الكلام والجدل لا يزيدهم إلا ضلالا وعراكا؟ وكيف عمل على ألجامهم عن علم الكلام وحرمهم من الفلسفة وتركهم بين علوم الدين والطريقة الصوفية؟ ألا تعد قصة حي بن يقظان دليلا بيداغوجيا بإمكانه أن يطور هوية سردية ضمن جدلية الواحد والمتعدد؟

الهوامش والاحالات:

[1] محمد ابن طفيل، **حي بن يقظان**، تقديم وتعليق علي بوملحم ، دار ومكتبة الهلال، بيروت، طبعة أولى، 1993.ص25.

[2] محمد ابن طفيل، **حي بن يقظان**، نفس المصدر، ص43.

[3] محمد ابن طفيل، **حي بن يقظان**، نفس المصدر، ص77

[4] محمد ابن طفيل، **حي بن يقظان**، نفس المصدر، ص77

[5] محمد ابن طفيل، **حي بن يقظان**، نفس المصدر، ص81.

[6] محمد ابن طفيل، **حي بن يقظان**، نفس المصدر، ص131.

المصدر:

محمد ابن طفيل، **حي بن يقظان**، تقديم وتعليق علي بوملحم ، دار ومكتبة الهلال، بيروت، طبعة أولى، 1993. 160 صفحة.

الفصل الخامس والعشرون

بداية الواقعية السياسية عند ابن خلدون

" الدولة في أول أمرها لابد لها من الرفق في ملكتها والاعتدال في إيالتها ... من المكارمة والمحاسنة... وإذا كانت الملكة رفيقة محسنة انبسطت آمال الرعايا وانتشطوا للعمران وأسبابه"1[1]

الفرضية التي يمكن مناقشتها مع العقول المشتغلة بحضارة إقرأ تتمثل في أن عبد الرحمان ابن خلدون قام بنقل المباحث العلمية في الدولة من الأحكام السلطانية إلى الواقعية السياسية ضمن رؤية تاريخية عمرانية.

لم يقتصر العمل الفلسفي التأسيسي الذي قام به العلامة ابن خلدون على ذكر أسباب وقوع المؤرخين في الأوهام والمغالطات والتحقيق فيها بغية تفاديها والتخلص من مزالقها وتبعاتها وبيان فضل علم التاريخ بل رافقه تأكيد على أهمية الاجتماع بالنسبة للبشر وضرورة العمران من خلال جغرافيا سياسية للتعاون والبر ووفق مناخ طبيعي يوفر انتشار الأخلاق الحميدة والشيم الاجتماعية ويقوى كسب أحوال التمدن والتحضر.

لقد عمل ابن خلدون على التمييز بين البدو والحضر وبين الطبيعة والثقافة وبين الخلقة والعادات وبين التوحش والتمدن وانتصر إلى معطى الرئاسة ودوام الملك وسياسة الناس بالعقل والمصلحة والقانون على الرغم من إشادته بالخصال الكبيرة التي يتمتع بها أجيال البدو من شجاعة وعصبية ومن قدرة على التغلب وفعل الخير وتنصيصه على دور القبيلة والعصبية والدعوة الدينية في قيام الدولة وسيطرتها على مجالها.

لعل الواقعية السياسية التي تعامل بها ابن خلدون مع التجربة السياسية تظهر في تحليله لظاهرة تكون الدولة وفق رؤية تاريخية تتابعها من لحظة تشكلها وانبثاقها وبعد ذلك ترصدها زمن استقرارها ومجدها واكتسابها للنفوذ والسؤدد وتتابعها عند وقت هرمها وضعفها وانحلالها ودراسة العوامل وذكر الظروف.

لقد درس ابن خلدون حقيقة السلطان الزمني وأصنافه وأتى على رمزية الخلافة الروحية وحصرها في الإمامة والاعتناء بالشؤون الدينية وتعمق في تحليل الخطط السياسية في الدولة وقام بالتمييز بين الرئاسة والوزارة وبين السلطنة والملك وبين الحكم بالسيف والحكم بالقلم وطالب بالانتقال بالدولة من البداوة الى الحضارة وركز على أن الدولة تستمد قوتها من الأصل الذي قامت عليه وعلى البيعة العامة والعهد الذي يتم بين الجمهور والخاصة الحاكمة ومن الدواوين والهياكل التي تديرها مثل الأعمال والجباية والرسائل والكتابة وقيادة الجيوش والأساطيل ودعا إلى الحاجة إلى اكتساب الثروة وصك العملة وتجنب المفاسد

[1] عبد الرحمان ابن خلدون، **المقدمة**، دار الجيل ، بيروت ، طبعة أولى، 1961، ص334.

والأضرار التي يمكن أن تداهم جسد الدولة وتؤذن بالهرم والانحطاط وهي آفات الانفراد بالمجد وإرهاف الحد والاستبداد والانقلاب والظلم وكثرة الجباية ونقص العطايا وتعثر الخدمة وارتفاع الأسعار والاحتكار.

كما ربط ابن خلدون فن السياسة بظاهرة الحرب والعسكر وعملية الاستيلاء بالكر والفر والتمكن من الغلبة بالقوة ولاحظ اقتران الاستقرار والرخاء والتحضر بحالة السلم وإتقان الصنائع وازدهار التعليم والعلوم.

اذا كانت كل دولة معرضة للعطب ويطرق أبوابها الخلل ويختلف حولها الناس وتنقلب فيها الحكومة الراشدة إلى ملك عضوض وتهرم وتنقسم وتتفكك وتتعرض للمجاعة والإفلاس والأزمات والكوارث فإنه يمكن تجديد شبابها وتثوير هياكلها وتقوية دواوينها وبث روح الحياة في جسدها ومدها بالمعارف اللازمة.

إذا كان الخلل يتسرب إلى بناية الدولة من نافذتين تتراوح بين استئثار العصبية بالحكم لنفسها وتوريثها أو غياب الشوكة وضعفها وذهاب ريحها وتتأرجح بين الإفراط في الترف وقلة المال وضياعه وإذا كان البعض يضاعف من مرض الدولة باستجلاب المرتزقة من الخارج والزيادة في الجباية والاستيلاء على ممتلكات الناس وما يترتب عن ذلك من ارتكاب الظلم والتعسف والقتل والقهر بحقوق غالبية الجمهور بالتعاون مع خاصته فإن إمكانية تفادي هذه الأمراض وارد وذلك عن طريق المطالبة والمطاولة من المستجدة للمستقرة وليس بالمناجزة والنازعة وبالاستمالة وتحصيل الرضا ونزع الرعب والتخاذل والفشل من القلوب وزرع الثقة في النفوس وحب المفازة ومعرفة مصالح الناس ومراعاة نفعهم بالسياسة العقلية.

خلاصة القول أن النقد المزدوج الذي يوجهه ابن خلدون للأحكام السلطانية التي انتشرت عند الفقهاء والمتكلمين وللميتافيزيقا السياسية التي انحدرت من الفلسفة الاغريقية في نسختيها المشائية والاشراقية ينتج استحداث مسلكية جديدة في التعاطي مع الظاهرة السياسية عبر أدوات الواقع والمصلحة والعقل.

في هذا يضيف الآتي:" اذا كان ذلك كله بالتدريج فإنما يظهر أثره بعد جيل أو جيلين في الأقل وفي انقضاء الجيلين تشرف الدولة على نهاية عمرها الطبيعي فيكون حينئذ العمران في غاية الوفور والنمو"[1]2. فكيف السبيل إلى الاستفادة من الواقعية السياسية التي وقعها ابن خلدون من أجل إعادة التكوين العقلاني للدولة؟

المصدر:

1- عبد الرحمان ابن خلدون، **المقدمة**، دار الجيل ، بيروت ، طبعة أولى، 1961، ص334.
2- عبد الرحمان ابن خلدون، **المقدمة**، نفس المصدر، ص334.

[1] عبد الرحمان ابن خلدون، **المقدمة**، نفس المصدر، ص334.

الفصل السادس والعشرين

أصول تفسير الأحلام عند محمد بن سيرين

" ليس نوع من العلم مما ينسب إلى الحكمة إلا يحتاج إليه في تأويل الرؤيا "[1]1

عاش محمد بن سيرين من سنة 653 ميلادي إلى سنة 729 ميلادي تاريخ وفاته في البصرة بالعراق وأدرك العصر الذهبي للإسلام وكان تقيا ورعا وبار بوالديه وبرع في علوم الفقه والحديث والزهد ولم يعرف له سوى كتاب منتخب الكلام في تفسير الأحلام وهو كتاب ظل موضع خلاف بين المؤرخين في أصالة الابتكار والاكتفاء بتلخيص وجمع ما وصله من معارف موروثة عن الإغريق والفرس والهنود.

لقد اعتقد البعض أن الكتاب من تأليف النيسابوري المعروف بأبي سعيد الواعظ وظن البعض الآخر أنه شرح لكتاب إغريقي وضعه أرطميدورس الافسي بعنوان "تعبير الرؤيا" ولقد ترجمه حنين ابن إسحاق إلى العربية في القرن التاسع ميلادي وتمت ترجمته إلى الأنجليزية بعد ذلك بعنوان "تفسير الرؤيا لأحمد".

في الواقع لا يمكن التشكيك في وضع كتاب حول تفسير الأحلام من طرف بن سيرين ولا يمكن القول بأنه أخذ عن أرطميدورس وتأثر بكتابه تعبير الرؤيا لأن الترجمة العربية التي قام بها حنين أنجزت بعد وفاته.

يضع بن سيرين ثلاثة شروط ينفذ من خلالها الطالب في علم الرؤيا:

- الأول هو حفظ الأصول ووجودها ووجوهها واختلافها وقوتها وضعفها في الخير أو الشر.

- الثاني هو تأليف الأصول بعضها إلى بعض حتى تخلصها كلاما صحيحا على جوهر أصول التأويل.

-الثالث: هو شدة الفحص والتثبت في المسألة حتى تحصل المعرفة الحقة بها[2]2.

الإشكال الذي عالجه بن سيرين في كتابه هو طبيعة الأحلام ومكوناتها ومضمون الرؤيا وتراوحها بين إمكانية التعبير عن الواقع والحقيقة من جهة وتضمنها للأكاذيب والترهات والأشياء الباطلة من جهة ثانية.

يستنجد بن سيرين بعلم التفسير ويطالب باحترام الأصول المفسرة وقواعد التأويل كما جرت في العربية لكي يتم معرفة محتوى الرؤيا أثناء الأحلام والتبين ان كانت صادقة حقيقية أو كاذبة ومليئة بالأباطيل:

---

1 محمد بن سيرين، **تفسير الأحلام الكبير**، طبعة منقحة تحت إشراف مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر، بيروت، 2004، ص14.

2 محمد بن سيرين، **تفسير الأحلام الكبير**، مصدر مذكور، ص13.

"ولا تصدرن رأيك في مسألة حتى تفتشها وتعرف وجهها ومخرجها ...فإن صفيتها من هذه الآفات التي وصفت لك ووجدت ما يحصل من كلام التأويل صحيحا مستقيما موافقا للحكمة فذلك تأويلها صحيح"3[1].

يرفض بن سيرين عبارة أباطيل الأحلام وإمكانية الكذب أثناء الرؤيا ويقر بوجود الرؤيا الصادقة التي قد تدل على الخير والعافية والصحة وقد تنبه من الشر وذلك نتيجة المرض في النفس والاعتلال في الجسم.

" إن الرؤيا الصادقة قسما: قسم مفسر ظاهر لا يحتاج إلى تعبير ولا تفسير ، وقسم مكنى مضمر تودع فيه الحكمة والأنباء في جواهر مرئياته"4[2] وهو هنا يسبق سغموند فرويد في الإشارة إلى ضرورة المرور من الظاهر إلى الباطن ومن الرمزي إلى الحقيقي لكي يتمكن المرء من معرفة محتوى الرؤيا ومضمون الحلم.

على هذا الأساس تحوز الرؤيا على وجوه كثيرة متلونة متضادة متنافية مختلفة لم يصر إلى وجه منها دون سائرها إلا بزيادة شاهد وقيام دليل من ضمير الرائي في المنام أو دليل في المكان الذي رأى نفسه فيه"5[3].
وإذا تمكن المرء من الأصول المفسرة فهم طبيعة الحلم وعرف أن الرؤيا لها وجه يدل على الخير ووجه يدل على الشر وحمله التأويل من ظاهر اللفظ المرئي في المنام الى باطنه المقصود أو المنتظر حصوله.

كما يتناول بن سيرين بالبحث تعبير الرؤيا بالزيادة والنقصان والتأويل بالمثل والتأويل بالضد والمقلوب وتعبير الرؤيا بالوقت ويربط أصول الرؤيا بالطبع والصنف والجنس والنوع من الأشياء والموجودات.

في نهاية المطاف لم يتغير أي شيء من أصول الرؤيا القديمة ولكن حالات الناس هي التي تغيرت ولذلك يجب أن تذهب همة المرء في اتجاه التأويل وقراءة المرئي والعلم بأغراضه ومحتواه ومقاصده ومطلوبه.

غير أن الاعتماد على الظواهر الغيبية أثناء تفسير الأحلام هو وقوع في الذاتية وتفسير بأمور غير موضوعية كشف عنها فرويد حينما ركز على الرغبات غير المشبعة المكبوتة في منطقة اللاوعي وأشار إلى استحالة تضمن الأحلام إشارات روحانية بالمستقبل ورفض الكهانة والتنجيم بالانطلاق من الرؤيا التي تحدث في المنام وخلصها أيضا من الذكرى التي تحصل للمرء عند إثارة الحواس والخيال وأقر بالطابع اللغوي للحلم ووضع فرضية التداعي الحرية واعتمد على تقنية التأويل بغية قراءة المحتوى الخفي فيها.

فمتى يكف المرء عن الاعتقاد في الأوهام ويؤمن بأن الأحلام هي حقيبة الأسرار التي تحدد الشخصية؟

[1] محمد بن سيرين، **تفسير الأحلام الكبير**، مصدر مذكور، ص13.
[2] محمد بن سيرين، **تفسير الأحلام الكبير**، مصدر مذكور،ص05.
[3] محمد بن سيرين، **تفسير الأحلام الكبير**، مصدر مذكور،ص05.

الإحالات والهوامش:

[1] محمد بن سيرين، **تفسير الأحلام الكبير**، طبعة منقحة تحت إشراف مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر، بيروت، 2004، ص14.

[2] محمد بن سيرين، **تفسير الأحلام الكبير**، مصدر مذكور، ص13.

[3] محمد بن سيرين، **تفسير الأحلام الكبير**، مصدر مذكور، ص13.

[4] محمد بن سيرين، **تفسير الأحلام الكبير**، مصدر مذكور،ص05.

[5] محمد بن سيرين، **تفسير الأحلام الكبير**، مصدر مذكور،ص05.

المصدر:

محمد بن سيرين، **تفسير الأحلام الكبير**، طبعة منقحة تحت إشراف مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر، بيروت، 2004.

الفصل السابع والعشرون

التراكم الثقافي والإنتاج المعرفي في الحاضرة التونسية

" إن قمع الفكر النقدي أخطر بكثير مما يتصور معظم الناس...وعلى ذلك فالتعليم هو أن يتعلم المرء كيف يفكر بنفسه بتوجيه معلم"1[1]

تتميز الحاضرة التونسية منذ بدء الفتوحات بالإنتاج العلمي والإبداع الأدبي والخلق الفني والنشاط الثقافي وبإعطاء الأولوية للأفكار والمفاهيم على الإنشاء والعرض وتبجيل التساؤل والنقد على التقليد والجواب.

لقد استفادت من مكوناتها الذاتية المتنوعة التي تعود إلى حضارات عريقة مختلفة تضرب بجذورها في صور والسكان الأصليين من الأمازيغ ومن علاقاتها الجدلية مع الجوار المتوسطي ومحيطها الأفريقي والانتماء إلى الديار العربية والرمزية الإسلامية وتواصلها مع المسيحية الأصلية وتسامحها مع اليهودية.

لقد ازدهرت الثقافة في تونس واعتنى السكان بالعلوم الدينية ونظريات التفسير والآداب والفنون الجميلة ونقد الشعر وفقه القضاء وصناعة الكتب والوراقة وانتشرت المذاهب والفلسفات وعلم الكلام والتصوف.

إذا كان المشرق العربي قد شهد نوعا من المركزية العلمية منذ تأسيس المدن التاريخية الكبرى التي اختصت في نشر العلوم والمعارف مثل المدينة والكوفة والبصرة وبغداد ودمشق والقدس وانضمام القاهرة إلى الجغرافية الثقافية المشرقية فإن تونس والقيروان وبدرجة أكبر وأقل مدن الأندلس والمغرب قد نقدتا هذه المركزية وأقامتا علاقة تنافسية ندية مع المشارقة وصلت إلى حد الريادة والسبق المعرفي والمدني.

لقد دخل التونسيون بوابة الفلسفة من شخصية عبد الرحمان ابن خلدون الذي طورها نحو علوم العمران والتاريخ والاقتصاد والسياسة ، ثم عرفوا اهتماما بالطب والتربية لدى ابن الجزار القيرواني والقابسي وبعد ذلك ظهر علي بان زياد وابن رشيق مؤلف كتاب العمدة واشتهر الإمام سحنون وأبو العرب التميمي وكتابه طبقات علماء افريقية وابن عرفة وابن المنظور صاحب معجم لسان العرب والقادمين من الأندلس حازم القرطاجني والشاعر ابن هاني وأبو اليسر الشيباني الرياضي وأبو الحسن علي القلصادي الرياضي.

لقد واكب علماء تونس النهضة العربية الأولى وبرع المصلح خير الدين بكتابه أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك ودعمه أحمد ابن أبي الضياف بكتاب إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس ومحمد بيرم الرابع ومحمود قابادو ومحمد بن الخوجة وسالم بوحاجب ومحمد بيرم الخامس صاحب كتاب صفوة

[1] برتراند رسل ، **حكمة الغرب**، ترجمة فؤاد زكريا، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 364 يونيو 2009، ص 119

الاعتبار والمؤرخ محمد الصغير بن يوسف والشيخ إبراهيم الرياحي والمصلح الفذ عبد العزيز الثعالبي صاحب كتب مسألة المنبوذين وتونس الشهيدة وروح التحرر في القرآن ومعجز محمد والكلمة الحاسمة.

لقد قدم لنا مؤسسة الزيتونة نظرية مقاصد الشريعة السمحاء على يد الطاهر بن عاشور ودعوة إنصاف المرأة من طرف الطاهر الحداد وكتابه امرأتنا في الشريعة والمجتمع وساندتها مؤسسة الصادقية في بناء الحركة العمالية والوطنية من العديد من المصلحين والمناضلين وتكوين نخب مثقفة وكوادر في الدولة.

كما برز محمد علي الحامي وبلقاسم القناوي ومختار العياري وأحمد بن ميلاد والشيخ الفاضل بن عاشور والشهيد فرحات حشاد في وعي الطبقة العاملة وتأسيس المنظمات النقابية التونسية المقاومة للاستعمار.

من ناحية أخرى فرض الشاعر أبو القاسم الشابي نفسه على الأوساط الأدبية العربية من خلال ديوانه أغاني الحياة وبحثه حول الخيال الشعري عند العرب وانتشرت قصيدة إرادة الحياة ووجد الأديب طه حسين سدا أمام مسرحية السد للأديب محمود المسعدي وحدث أبو هريرة قال.. وروايته مولد النسيان.

لقد أدى هذا الزخم السياسي والترسب المعرفي الى ترسيخ ثقافة التنوير والتسامح والانفتاح على الوافد ومواكب التطور وتركيز قيم التقدم والحرية والانتباه الى الواقع والتشبث بتغيير المدنية وإصلاح المجتمع.

فكيف ساهم هذا التراكم النضالي والمعرفي في تهيئة الأرضية النظرية والعملية لقيام الثورة في تونس؟ ولماذا ارتبط الاستثناء التونسي بالجرأة وممارسة الفعالية النقدية وتدبير التنوع والتعايش بين المختلف؟

المرجع:

1- برتراند رسل ، **حكمة الغرب**، عرض تاريخي للفلسفة الغربية في إطارها الاجتماعي والسياسي، ترجمة فؤاد زكريا، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 364 يونيو 2009، ص119.

الفصل السابع والعشرون:

لطائف في الشعر والتربية والعلم من القيروان

"ومن حقهم عليه أن يعدل بينهم في التعليم ولا يفضل بعضهم على بعض وان تفاضلوا في الجعل"[1]

ان اختيار مدينة **القيروان** عاصمة للثقافة الإسلامية ليس من قبيل الصدفة أو الاعتباطية وليس البتة نوع من الدعاية السياحية والتسويق الإعلامي بل إن مكانتها التاريخية في الحضارة العربية الإسلامية راسخة ولا يشكك فيها أحد، لاسيما وأنها مدينة عريقة توطدت منها اللغة العربية والدين الإسلامي في ربوع المغرب العربي وجنوب أوروبا وانطلقت منها الرحلات التجارية نحو جنوب الصحراء الإفريقية وبلدان الساحل. ومن المعلوم أن مدينة القيروان فقد بناها القائد عقبة بن نافع عام 50هـ/670م، واتخذها الأغالبة بعده عاصمة لهم وقد تواصل إشعاعها إلى يوم الناس هذا.

يوجد في رباط الأغالبة كما يحلوا لبعض المؤرخين تسميتها العديد من المعالم العمرانية والآثار النفيسة مثل المسجد الذي بناه عقبة ابن نافع و وهو من أروع شواهد العمارة الإسلامية في المغرب العربي، ومقام الصحابي أبي زمعة البلوي ومقام سيدي عبيد الغرياني ومقام سيدي عمر عبادة وبئر بروطة وفسقيات الأغالبة وجامع الأبواب الثلاثة .

وقد وصفها الجغرافي الإدريسي في كتابه :"نزهة المشتاق في اختراق الآفاق:"القيروان أم الأمصار وعاصمة الأقطار، وقد سبقت بذلك قرطبة الأندلسية حيث كان مسجد عقبة مجلسا للعلم، إلى جانب إنشاء مدارس أطلق عليها دور الحكمة".

لقد تكون العديدً من العلماء والفقهاء والمحدثين في القيروان وكان من أبرز علمائها سحنون وابن أبي زيد وابن رشيق وابن شرف وأسد بن الفرات وابن الجزار والمعزّ بن باديس كلهم تركوا بصماتهم الحضارة العربية الإسلامية وأغنوها بكثير من المؤلفات والرسائل في علم الكلام والطب والتربية و الفقه والأدب واللغة والعلوم الطبيعية والشعر.

من أهم إسهامات علماء القيروان يمكن أن نذكر كتاب ابن الجزار في التربية الذي يتناول فيه اشكالية التربية بين الطبع والتطبع اذ يرى أن:"العادة طبيعة ثانية فلموقع العادة هذا الموقع وجب أن يؤدب الأطفال ويعودوا بالأشياء الجميلة وتربيتهم فاضلة ليكونوا ان قبلت طبائعهم منفعة التأديب والتعاهد أخيارا

[1] أبو الحسن القابسي القيرواني، الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين،

فضلاء."[1]

من المعلوم أن القيروان عرفت حركة كلامية واسعة وانتشر فيها الاعتزال وبعد ذلك الأشعرية وغلب في البداية فقه الأحناف مع أسد ابن الفرات ولتنتصر المالكية مع سحنون

"روي عن رجل جليل من أصحاب الحسن أنه قال: ما كنا نعد علينا أيام واصل ملكا. وفرق رسله في الآفاق يدعون إلى دين الله فأنفذ إلى المغرب عبد الله ابن الحارث فأجابه الخلق."[2]

واضح من خلال هذا القول لأبي القاسم البلخي أن الاعتزال انتقل إلى المغرب العربي عامة والقيروان خاصة منذ تشكله على يد واصل ابن عطاء عن طريق تلميذه عبد الله ابن الحارث الذي واصل طريقه إلى المغرب وأقام في الدار البيضاء وانتشر كذلك في طنجة.

ان شيوخ الاعتزال في القيروان هما محمد بن الأسود الصديني وابن عبدون الحنفي وقد توليا القضاء. وقد أخذ عنهما أسد ابن الفرات وأبو محرز الذي اشتهر بتحليله لشرب النبيذ.

غير أن المالكية عادت بقوة واشتهر أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم القيروان وكان يتقول الشعر ويهتم بالجمع والتدوين ومن قصائده نذكر ما يلي:

"إذا ولى الصديق لغير عذر فزاد الله خلته انقطاعا

إلى يوم التنادي بلا رجوع فإن رام الرجوع فلا استطاعا

إذا ولى أخوك فول عنه وزده وراء ما ولاك باعا

وناد وراءه يا رب تمم ولا تجعل لفرقته اجتماعا

وكذلك قوله:

ضعفت حيلتي وقل اصطباري والى الله أشتكي كل ما بي

وهن العظم بعد أن كان صلبا وفقدت الشباب أي شباب"[3]

1 ابن الجزار القيرواني، سياسة الصبيان وتدبيرهم، تحقيق محمد حبيب الهيلة، الدار التونسية للنشر ،مطبعة المنار، تونس1968

2 فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، تحقيق فؤاد السيد، الدار التونسية للنشر، الطبعة الثانية، 1986، ص 66-67

3 أبو العرب، طبقات علماء افريقية وتونس، تحقيق علي الشابي ونعيم حسن اليافي، الدار التونسية للنشر، 1985، ص27

يورد أبو العرب لكي يعظم منزلة القيروان ويجعلها أم المدائن وقبلة ثانية للمسلمين حديثا للرسول محمد صلعم يؤكد فيه قداسة هذا الموطن وربما يكون الحديث مرسلا أو موضوعا، اذ يرى بعد العنعنة :"ليأتين ناس من أمتي من افريقية يوم القيامة وجوههم أشد نورا من القمر ليلة البدر"[1].

غير أن المحققين يشيران الى بعض من تلك الحركة الفكرية التي شهدتها القيروان بقولهما:"وقفوا(أهل الجدل) عند أبي سعيد بن الحداد صاحب المجالس المعرفة ومحمد بن الفتح الرقادي الذي... كان يذهب مذهب الجدل والمناظرة والذب عن السنة وأهل المدينة وقد اعتبره عياض من مشاهير المتكلمين والنظار بالقيروان. كما وقفوا عند تلك المناظرات التي كانت تقوم بين العلماء في الفقه والكلام. كالمناظرة التي دارت بين ابن طالب ومحمد ابن محبوب في الفقه أو التي دارت بين ابن محبوب وأحد العراقيين بمحضر ابن طالب(في الاستثناء بالله الذي يزيل الكفارة ولا يزيل الطلاق) أو كتلك التي قامت بين ابن محبوب وأحد المعتزلة في القدر بحضور أبي عبد الله الرقادي ونتج عنها أن ابن محبوب وضع كتبا مناقضة لقول المعتزلة."[2] لكن يعترف المحققان بأن القيروان لم تعرف ميلاد فيلسوف بالمعنى الحقيقي للكلمة في حجم ابن سينا وابن الهيثم والبيروني لأن الناس فيها لم يكونوا يفرقوا بين الفلسفة والمروق، "لذلك تراهم يتهافتون على العلوم النقلية ويحاولون التأليف فيها واجترارها ويرفضون كل نظر عقلي أو نزعة فلسفية وليس غريبا أن نجدهم يعتبرون المعتزلة كفارا والشيعة والخوارج مارقين ثم ليس غريبا أن نجد عندهم صوت الشعر خافتا وصوره باهتة لأنهم يعتبرون الخيال والإمعان فيه ضربا من التحلل"[3].

غير أن هذا الموقف التاريخي غير دقيق وهو مجرد حكم مسبق لأن ظهور ابن رشيق وشهرة كتابه العمدة سيقلب الموازين ويعطي صورة ناصعة عن ازدهار الحياة الأدبية والفكرية في القيروان.

إذ جاء في العمدة لابن رشيق:"

في الناس من لا يرتجى نفعه إلا إذا مس بإضرار

كالعود لا يطمع في طيبه إلا إذا احرق بالنار"[4]

وقد عرف ابن رشيق بالقناعة وصداقة الناس ومحبتهم وذكر في ذلك:"

يعطى الفتى فينال في دعة ما لم ينل بالكد والتعب

[1] أبو العرب، طبقات علماء افريقية وتونس، تحقيق علي الشابي ونعيم حسن اليافي، الدار التونسية للنشر، 1985، ص44
[2] أبو العرب، طبقات علماء افرقية وتونس، تحقيق علي الشابي ونعيم حسن اليافي، الدار التونسية للنشر، 1985، ص21
[3] أبو العرب، طبقات علماء افرقية وتونس، تحقيق علي الشابي ونعيم حسن اليافي، الدار التونسية للنشر، 1985، ص20
[4] ابن رشيق، العمدة، في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى 2001

فاطلب لنفسك فضل راحتها إذ ليست الأشياء بالطلب

إن كان لا رزق بلا سبب فرجاء ربك أعظم السبب"[1]

وقد ذكر لنا المؤرخون مناظرة شعرية بين ابن رشيق وابن شرف حول الأندلس حيث قال الأول:"

مما يزهدني في أرض أندلس أسماء مقتدر فيها ومعتضد

ألقاب سلطنة في غير مملكة كالهر يحكي انتفاخا صولة الأسد

وقد أجابه ابن شرف عندما اجتمعا بصقلية:

ان ترمك الغربة في معشر قد جبل الطبع على بغضهم

فدارهم ما دمت في دارهم وأرضهم ما دمت في أرضهم"[2]. فهل يعني ذلك أن ابن رشيق تنبأ بتفكك الأندلس وضياع زمان الوجود العربي في صقلية قبل أوانه؟

المراجع:

أبو العرب، **طبقات علماء افريقية وتونس**، تحقيق علي الشابي ونعيم حسن اليافي، الدار التونسية للنشر، 1985، ص20

ابن رشيق، **العمدة، في محاسن الشعر وآدابه ونقده**، تحقيق عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى 2001

أبو الحسن القابسي القيرواني، **الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين**، الدار التونسية للنشر ، طبعة أولى ، 1986.

ابن الجزار القيرواني، **سياسة الصبيان وتدبيرهم**، تحقيق محمد حبيب الهيلة، الدار التونسية للنشر ،مطبعة المنار، تونس1968

فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، تحقيق فؤاد السيد، الدار التونسية للنشر، الطبعة الثانية، 1986.

[1] ابن رشيق، العمدة، في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى 2001

[2] ابن رشيق، العمدة، في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى 2001

خاتمة:

" الإيمان هو التفكير في جزئيات الشأن البشري من وجهة نظر كليات المطلق الإلهي"

لقد تحول الإسلام منذ زمن ليس بقريب إلى قوة سردية مؤثرة في سلوك الأفراد ومصير الجماعات وصار متحكما في وجهة التاريخ ومحددا لمصير العالم لما تتضمنه من أنطولوجيا عميقة ورؤية أسكاتولوجية للحياة. ويظن البعض أن الإسلام تم الاستيلاء عليه والهروب به وتعرض لتحويل وجهة وتم إلغاء البعد السردي منه وإفراغه من مضمونه التربوي واستخدامه في الأعمال الحربية العنيفة والسلوكات القتالية غير المشروعة. فماهي مقاصد السردية الاسلامية؟ وكيف تحول الإسلام الى سرد؟ وماذا يراد به عندما يقع إدخاله إلى العملية السردية؟ وهل هو سردية عنيفية أم سردية قوية؟ وكيف يربط الاسلام قوته السردية بالسلم والبر؟ ألا يوجد فرق بين السرد القصصي والسرد التاريخي للأحداث؟ وهل القرآن كتاب تاريخي أم سردي؟ ولماذا يؤكد السرد على الطابع المدني للإسلام وعلى الحقيقة الجمهورية؟ ومتى يسترد الإسلام كونيته؟ وماهي الفائدة المرجوة من بلاغة السرد القصصي في القرآن غير التسامح والمحبة والتعاون؟

والحق أن السردية الإسلامية تعتمد على التخييل والمحاكاة من أجل الاعتبار والتدليل وتضرب الأمثال وتقدم القصص وتجعل من الإيمان مسلكية أخلاقية في حسن العناية بالذات والحرص عن احترام الغير، وذلك لأنها لا تنظر الى الماضي بعيون الدهشة والإعجاب إلا لكي تتمكن من نقد الحاضر وتنظر إليه بعيون غير راضية وغير مطمئنة وتقتدر على صناعة المصير المقبل والتوجه نحو المستقبل بإرادة صلبة.

تعتمد السردية القرآنية على ما يتضمنه النص من معان ودلالات وقدرة على التحبيك وزرع الأمل وتقديم الوعد وإلزام المجتمع بالوفاء والتوجه نحو القصد والانتقال من النص إلى الخطاب ومن الكلام إلى الفعل.

كما تتكون السردية الإسلامية من عناصر خصوصية ذاتية يمكن تكثيفها في مفهوم الملة ولكنها تنشد الموضوعية وتنفتح على الوافد والمغاير وتلتقي بالعالمي والكوني وتريد الاسترجاع والاستجماع ولكنها تطلب أيضا التقدم والتسريع والتحديث وتبحث عن الاستباق والاستشراف وتتمسك بالريادة والراهنية.

تتصف السردية الإسلامية بالطابع الاجتماعي التعاوني وتمس العمق الشعبي للجماهير وتعتبر الفقر رذيلة والظلم فسادا واحتكار الثروة جريمة وتنادي بالغنى الروحي وكسب المال بالطرق الشرعية وتعتصم بالعدالة والمنفعة العامة والمساواة وتمنح العزة والكرامة والمواطنة للمستضعفين والمساكين واليتامى والمحرومين والسائلين وتحرص على الصلح والإصلاح والمصلحة والاستقرار والتمدن وتحرير الرقاب.

والحق أن الإسلام من حيث هو سرد يتدخل في المجال الأخلاقي والحقوقي في حياة الأفراد والجماعات ويلقي بظلاله من حيث لا يريد فاعلوه على القوانين الدستورية والقرارات السياسية من بوابة فن التأويل، وذلك للصراع الدائر بين القوى الاجتماعية بغية الاستحواذ على المقدس الاسلامي وتوظيفه لمصالحهم وإرادة المعنى التي تلبست بإرادة القوة والتي تجعل كل عملية تفسير للنصوص تعكس موقع المفسرين من السلطة وأغراضهم الشخصية ومصالحهم الفئوية، زيادة على الصراع بين التأويلات الدائر في الساحة السياسة حول طبيعة العلاقة بين الدولة والدين ومدى مساهمة الوحي الإلهي المنزل في التشريع البشري.

لقد اعتقد البعض أن الدين انتهى من الناحية التاريخية وأننا نشهد نهاية عصر الإيمان وحاول البعض الآخر الذهاب إلى مابعد المعتقدات وتطرق آخرون إلى مسألة إفلاس السرديات الإسلامية وأفولها. بيد أن الأمر يتعلق بأسوأ معتقد وبموقف إيديولوجي متعال على التاريخ وغير ملائم للواقع الموضوعي وحقيقة الحياة والدليل هو ما نراه بأم أعيينا من عودة للديني وتزايد الطلب على الإيمان واستنجاد البشر بالإلهي.

هناك حاجة أكيدة يجدها المسلمون في علاقة بالإسلام من جهات عديدة يمكن أن نحصرها في ثلاثة:

-الحاجة إلى الألوهية: يجد المسلم المعاصر نفسه في حاجة إلى تجديد علاقته بربه وتجديد الثقة في الألوهية وتحقيق المصالحة مع الذات الإلهية والاستعانة بها في مواجهة الصعوبات والمشكلات. كما يستمد المؤمن ثقته في نفسه ومحيطه من الله في المجالات النفسية والاجتماعية والأخلاقية.

-الحاجة إلى النبوة: يظل النبي هو القدوة الحسنة للمسلمين والنبراس الهادي والشخصية التاريخية التي توفر المرجعية الأخلاقية والتربوية لكل الناس ويظل الحديث الشريف الوعاء الروحي لهم. هكذا يمثل النبي مركز الثقل والنقطة المرجعية في ثبت الهوية ومنح الرؤية الاستشرافية للحياة.

-الحاجة إلى الوحي: القرآن ليس مجرد كتاب ديني تؤمن بقدسيته طائفة من الدينيين وانما هو أكثر من ذلك بكثير لما يتضمنه من اعجاز ووفرة في الدلالة وفائض في المغنى وقيمة مضافة في العلم ويعود اليه الناس ليتدبروا فيه شؤون دنياهم وآخرتهم ويفتشوا في آياته عن مقاصد ومناسك.

من هذا المنطلق يكون الموقف الداعي الى مابعد السردية الاسلامية مجانبا للصواب ومتحاملا على معشوق المسلمين وغير عارف بمقومات الفلسفة السردية نفسها وجاهلا بالعناصر التكوينية للإسلام وواقع في نظرة عدمية متشائمة تريد تصفية الحساب مع المخزون الحي للشعوب واستبداله بالجاهز.

هكذا يظل الإسلام في صيغته التأويلية أحسن القصص وأجمل العبر بالنسبة للإنسانية ويبقى المسلمون في تعلق به من جهة الألوهية والنبوة والوحي تأملا وقراءة وتدبرا بغية ايجاد حلولا ايتيقية وتربوية للمزالق المستعصية التي تعاني منها البشرية على المستوى الرمزي والمادي وتقتضي ثورة روحية.

من المفروض أن يتم الاشتغال على العلاقة العضوية بين السرد والإسلام وأن ينظر إلى السرد من زاوية إسلامية فيكون القصص وأن يتم التعامل مع القرآن من حيث هو معطى قصصي ومنجم سردي واستخلاص التبعات الإيتيقية والفنية من ذلك وإعادة تشكيل الأركان والأحكام على ضوء هذا التغيير.

من المعلوم أن السردية الاسلامية هي بالأساس سردية عربية من جهة التعامل التأويلي مع لغة الضاد باعتبارها مأوى الكائن ومسكن الكينونة ولكنها تتضمن مختلف السرديات الأخرى التي ينتشر فيها.

نحن أمام سرديات اسلامية وليس أمام سردية واحدة وهذه السرديات الخاصة تتحدث كلها عن مبحث واحد ولكن بأسلوب مختلف وبلغة مغايرة وهذا التنوع والاختلاف هو مصدر إثراء وإضافة. لكن لماذا تم تعليق الحكم حول حقيقة القصص الفني في القرآن وتم التغاضي عن ثراء السرد الإسلامي؟ أليس السرد إعجازا في القرآن؟ ألم ترتبط البلاغة بالقصص ويتغير المعنى بتغير الأسلوب والمبنى؟

إذا كان الفكر في حضارة إقرأ لا يزال أصوليا منغمسا في العديد من الأحكام القطعية والأسس الصلبة وإذا كان مُرَادُ العقلنة والتمدين والعلمنة هو تشريح هذه الأصولية فإنه من الأوكد التوجه رأسا نحو هذه الأصول التي تفرع عنها من أجل تحديدها وتحليلها وتفكيكها عن بعضها البعض وبناء فكر غير أصولي.

لقد تشكلت هذه الأصول من الأساطير الشرقية والتقاليد التراثية الوافدة والأديان التوحيدية والمعتقدات والشيم العربية والشعر "الجاهلي" و بصورة لافتة الوحي القرآني والحديث النبوي والفلسفة الإغريقية.

لقد شَخَّصَ العديد من المشتغلين بالفكر تأخر العالم الإسلامي وانغلاق الدائرة العربية بالوقوع في آفة التبعية والاغتراب والانقسام والتقليد والماضوية واللاّتسامح ولذلك تم اقتراح الحلول التي تشمل التجديد المتأني والاستقلالية الذاتية والوعي التاريخي والتوحيد بين مختلف العناصر التكوينية للأمة والانصهار بين المكونات المتعددة والاهتمام بالمستقبل من خلال التخطيط الاستراتيجي واستئناف باب الاجتهاد والانفتاح على الأمم المتطورة والنهل من القيم الحضارية الراهنة وإرادة التعايش مع الشعوب المغايرة.

غير أن العقل الفلسفي من جهة اشتغاله على المفاهيم المستقرة وبحثه الدؤوب عن العلل الأولى وتمييزه بين الوظيفي والماهوي وبين المعرفي والإيديولوجي يعتبر العامل الديني المشكل الأكبر في فساد الأحوال ويُحمِّل علماء الدين والسياسة مسؤولية الكارثة التي حلت بالأمة لما بدا عليهم من تقصير وغفلة وتملق.

لقد ظهرت عدة قضايا خلافية تخص الحياة اليومية للإنسان وتتطلب حسم الخلاف وإصدار الحكم الفقهي ووجد الفكر الديني نفسه في مأزق وعطالة ووقع في عدة أخطاء وتناقضات في التعامل مع المستجدات.

لقد ارتبطت الممارسات الدينية بصورة فردية ومن خلال طقوس وشعائر جماعية بالعديد من الشوائب والآفات مثل الغلو الذي أنتج التشدد والعنف الذي بلغ حد الإرهاب والوثوقية التي أفضت إلى التعصب وتزايدت مسالك التدين الافتراضي من خلال الوسائط الحديثة وجنحت بعض الجماعات إلى التمذهب.

من جهة ثانية تعاني المؤسسة الدينية من أزمة هيكلية وذلك بسبب تصادمها مع عالم الحياة وعجزها عن مواكبة الاكتشافات العلمية والتقدم التكنولوجي وفشلها في شرعنة الوجود الاجتماعي الذي خضع للرقمنة في الزمن مابعد الصناعي وأضاعت البوصلة في خصوص المواءمة بين قدسية النص ودنيوية التشريع.

لقد أراد النظام الثقافي الرسمي أن تكون الحداثة الدينية في الحالة العربية على المنوال الغربي نازلة من هرم الدولة إلى قاع المجتمع ومنطلقة من المؤسسات مستهدفة الشوارع والساحات والجهات والأعماق.

لقد تم تخيّل التحديث على أنه يكون أنجع وأكثر استقرار بقوة السلطة وبجور القانون فوجه سهامه الهدامة نحو المقدس وسدد ضربات مطرقته بغية الحفر في أعماق الذاكرة الجمعية والتنقيب في اللاّوعي الديني.

لقد وقع التخلي عن الإسلام التأسيسي تجنبا للشبهة الأصولية وتم استبداله بالإسلام التاريخي تفعيلا للتطور وبدل تحويل الإسلام إلى دين مدني يفيض بالمعاني ويمثل رحمة للعالمين حدثت حيلة في رهنه في محبس الدين الوضعي كتبت نصوصه العقدية كائنات بشرية عَمَت عيونها عن نور الدين الطبيعي وصُمَّت أذهانها عن صوت الوجود الأصيل الذي يرتفع في الكون منتظرا قدوم الإلهي بعد أفول الآلهة جراء عبادة التقبيل.

لقد سهى الملأ الأعلى عن وقائع عديدة وملابسات كثيرة حدثت للمنابت الدينية عند ولادة الحداثة الغربية وتغافل المشرع عن تغافل العقلانية الفلسفية في لحظتها التأسيسية عن حضور البعد الغيبي في رحمها طلبا للضمان الإلهي في ظل شرود الكوجيتو وتقطع أوصاله بين التفكير والوجود في آناته الزمنية المنفصلة.

لقد جهل العارفون بعلوم الدنيا بعض من حقائق الاسكاتولوجيا وارتكبوا حماقة سوء معاملة التحديث للتقليد وتركوا حركة التطوير تهدم المعمار الذي بني عليه الميراث القديم وتنهي المعركة مع الماضي فن السرد وأوقعوا الحشود في الاغتراب الديني وأفرغوا النخبة المثقفة من وعيها نخبوي وأفقدوها النضج الوجودي.

من البديهي إذن أن يكون مشكل التقدم في الإسلام وما يقتضيه من تطهير للأعراق من أشكال التمركز ومن تهذيب للأخلاق من كل القيم المعولمة ومن صنمية المبادئ الاستهلاكية هو من صلب اهتمام الفلاسفة والمفكرين وشغلهم النظري والتزامهم العملي وليس فقط من اختصاص رجال الدين من الفقهاء والدعاة.

حري بالمجتهد في فضاء الناطقين بلغة الضاد أن يولي وجهه شطر البيت المعمور قصد التزود بالحكمة النورانية والاستنارة بالسراج القرآني الوهاج بغية استئناف النظر التشريعي وذلك بالاعتبار من الأحداث والمتغيرات مع أخذ الحيطة من الاحراجات العملية والتفاعل مع المعارضات الاجتماعية والنقد المعرفي.

إذا كانت رمزية اللغة الدينية تغلق الأبواب بشكل تام أمام قيام حركة تفسيرية وافية بمقصود النصوص فإن تحريك آلة التأويل يتطلب المراهنة على انطلاق حركة تأويلية جذرية داخل الفضاء الفلسفي الديني تقوم بالتمييز بين مستويين من التجربة الإيمانية هما علو المقصد المستهدف من الوعي وتجلي الأشكال التعبيرية من ناحية وتهتم بوصف هذه التعبيرات الدينية من جهة البنية والدلالة والماهية من ناحية ثانية .

لا تبحث هرمينوطيقا الإسلام عن جواب للمشكل الإلهي في المرجع التيولوجي مع حدة التناقض بين العدل مع الشر بل تبحث عن مسار للكائن يخلصه من الوجود التاريخي للشر في مستوى اللاهوت السياسي. كما أنها لا تحرص على اختبار شروط صلاحية الخطاب الديني فحسب بل تسعي إلى إزالة سوء الفهم وتنقية الالتباسات ونقاط الغموض في التجربة الدينية مركزة على تطهير اللغة المعبرة عن فرحة الإيمان. فكيف يفضي التشريح إلى استئصال الآفات من الجذور وتفكيك العقد الدفينة وتطهير المجتمع من الهزيمة؟

الفهرست:

الاهداء

استهلال

الفصل1 علم الفلاحة عند ابن العوام الاشبيلي

الفصل2 علوم الجغرافيا والمناخ والفلك عند الشريف الإدريسي

الفصل3 قواعد علم الملاحة عند أحمد ابن ماجد

الفصل4 فكرة النشوء والارتقاء عند أبي علي مسكويه

الفصل5 خصائص علم الكيمياء عند جابر ابن حيان

الفصل6 علم الجبر والبرمجة عند أبي جعفر الخوارزمي

الفصل7 مولد الأنثربولوجيا عند أبي الريحان البيروني

الفصل8 عمر الخيام واكتشاف العدد المجهول

الفصل9 ابن النفيس واكتشاف الدورة الدموية الصغرى

الفصل10 الاختراع العلمي عند عباس بن فرناس

الفصل11 ابن عربي الفيلسوف المستكشف

الفصل12 نظرية الأعداد وعلم الهندسة عند ثابت ابن قرة

الفصل13 تطور علم الميكانيكا عند ابن ملكا البغدادي

الفصل14 أدب الرحلة عند ابن بطوطة

الفصل15 ابن البيطار بين العلاج بالنبات وتأسيس علم الصيدلة

الفصل16 أدب السلاطين وحكمة المشرقيين عند ابن المقفع

الفصل17 الشك التجريبي وعلم المناظر عند ابن الهيثم

الفصل18 مجمع الأنا واكتشاف الرجل المعلق عند ابن سينا

الفصل19 أبو الحسن العامري بين الإبصار والإسعاد والإنقاذ

الفصل20 الميزان الطبيعي عند أبي بكر الرازي

الفصل21 نور الدين البطروجي وميلاد علم الفلك الحديث

الفصل22 أسبقية الوجود على الماهية عند صدر الدين الشيرازي

الفصل23 الدعائم الرياضية والطبيعية للفلسفة العقلية عند ابن باجة

الفصل 24 السرد الفلسفي للحياة الطبيعية عند ابن طفيل

الفصل 25 بداية الواقعية السياسية عند ابن خلدون

الفصل 26 أصول تفسير الأحلام عند محمد بن سيرين

الفصل27 التراكم الثقافي والإنتاج المعرفي في الحاضرة التونسية

الفصل 28 لطائف في الشعر والتربية والعلم من القيروان

خاتمة

الفهرست